

سلسلة أحمد بن حنبل

تَفْسِيرُ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ

بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ

عن الجهل والجهال
ومن عذرهم بالجهل

تأليفُ

مُحَمَّدٌ رَجُلِي وَالْمَعْدَنِيُّ مُحَمَّدٌ ابْنُ عِمْرَانِ

لِلدَّيْتِجَاتِ

عن الجهل والجهال
ومن عذرهم بالجهل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطب مع محفوظة للمؤلف

الأولى

رقم الطبعة

٢٠٢٣ - ١٤٤٥ هـ

سنة الطبع

١٠٠ صفحة

عدد الصفحات

٢٤×١٧

المقاس

٢٠٢٣/١٧٣٦٣ م

رقم الإيداع

I.S.B.N: 978-977-6900-81-7

الترقيم الدولي

الناشر



للطبع والنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - الإسكندرية

☎ +201220482504

☎ +201003225280

e-mail: prdise2030@gmail.com

سلسلة أحسن الحديث
تفسير قول الله ورسوله
يقول الله ورسوله

لَا يَتَكَلَّمُ عَنِ الْجَهْلِ وَالْجَهَالِ وَمَنْ عَذَرَهُمْ بِالْجَهْلِ

تَأْلِيفُ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيِّ



المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةُ، وَالسَّلَامُ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا فِي الْقُرْآنِ عَنِ الْجَهْلِ وَالْجَاهِلِ، وَمَنْ عَذَرَهُ بِالْجَهْلِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وَقَدْ تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنِ الْجَهْلِ وَالْجَاهِلِ فِي تِسْعَةِ كُتُبٍ.

الْكِتَابُ الْأَوَّلُ: تَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ تَعْرِيفِ الْجَهْلِ وَالْجَاهِلِ، وَالْجَاهِلِيَّةِ وَأَسْمَاءَ مَا لَيْسَ بِعِلْمٍ فِي ثَلَاثَةِ دُرُوسٍ.

الْكِتَابُ الثَّانِي: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْجَهْلِ وَالْخَطَا، وَالنِّسْيَانِ وَالْإِكْرَاهِ.

الْكِتَابُ الثَّالِثُ: تَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ مَنْ عَذَرَهُ اللَّهُ بِالْجَهْلِ وَمَنْ لَمْ يَعْذُرْهُ اللَّهُ بِالْجَهْلِ وَمَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى الْجَاهِلِ فِي سِتَّةِ دُرُوسٍ.

الْكِتَابُ الرَّابِعُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ حُكْمِ عَذْرِ الْعُلَمَاءِ ^(١) بِالْخَطَا وَالنِّسْيَانِ وَالْإِكْرَاهِ.

الْكِتَابُ الْخَامِسُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ تَعْرِيفِ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ وَشُرُوطِهَا وَأَفْسَامِهَا.

(١) الْعُلَمَاءُ يَشْمَلُ الْعَوَامَّ إِذَا عَلِمُوا حُكْمَ مَا عَمِلُوا..

الكتاب السادس: تَحَدَّثَ اللهُ عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا وَقَعَ فِي الْكُفْرِ وَأَقْسَامَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِيمَانِ بِحُكْمِ اللهِ عَلَى مَنْ كَفَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي ثَلَاثَةِ دُرُوسٍ.

الكتاب السابع: تَحَدَّثَ اللهُ عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَقْسَامَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِيمَانِ بِحُكْمِ اللهِ عَلَى الْكَافِرِ فِي أَرْبَعَةِ دُرُوسٍ.

الكتاب الثامن: تَحَدَّثَ اللهُ عَنْ أَسْبَابِ الْخِلَافِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ.

الكتاب التاسع: فَرَّقَ بِوُجُودِ الْخِلَافِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ بَيْنَ شَرِيعَةِ اللهِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَشَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ الْمَذْهَبِيَّةِ.

وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



**الْكِتَابُ الْأَوَّلُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ تَعْرِيفِ الْجَهْلِ وَالْجَاهِلِ
وَالْجَاهِلِيَّةِ وَأَسْمَاءِ مَا لَيْسَ بِعِلْمٍ فِي ثَلَاثَةِ دُرُوسٍ**

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ تَعْرِيفِ الْجَهْلِ وَالْجَاهِلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْإِنْسَانَ؛ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةُ، وَالسَّلَامُ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ
الْهَوَى، إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيُ يُوحَى أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنْ تَعْرِيفِ الْجَهْلِ وَالْجَاهِلِ. قَالَ اللَّهُ فِي
سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

أَوَّلًا: عَرَّفَ اللَّهُ الْجَهْلَ بِعَدَمِ الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ هُودٍ لِنُوحٍ
عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾
[هود: ٤٦].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِعُ الْعِلْمَ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالًا»
[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] ^(١).

ثَانِيًا: عَرَّفَ اللَّهُ الْجَاهِلَ بِالَّذِي لَا يَعْلَمُ بِالشَّيْءِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ:
﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فَالْجَاهِلُ لَا يَعْلَمُ حُكْمَ عَمَلِهِ الَّذِي عَمَلَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:
﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ مَا يُذَكَّرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ.

وَالْجَاهِلُ هُوَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ دِينَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ
اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي أَعْبُدُ أَشْيَاءَ الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَالْجَاهِلُ هُوَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ عُقُوبَةَ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ:
﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وَالْجَاهِلُ هُوَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ عُقُوبَةَ مَعْصِيَتِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ:
﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ
فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ١٧].

وَالْجَاهِلُ هُوَ الَّذِي يَنْقُلُ الْأَخْبَارَ وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهَا مَكْذُوبَةٌ. قَالَ اللَّهُ فِي
سُورَةِ الْحَجَرَاتِ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا
قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وَوَصَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ بِقَوْلٍ غَيْرِ
قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِالْجَاهِلِ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ يُسْتَفْتُونَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ
وَيُضِلُّونَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] (١).

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ مَا يُذَكَّرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ.

الدَّرْسُ الثَّانِي: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ أَسْمَاءٍ

مَا لَيْسَ بِعِلْمٍ لَتَعْرِفَهُ إِذَا رَأَيْتَهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ؛ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةُ، وَالسَّلَامُ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنْ أَسْمَاءٍ مَا لَيْسَ بِعِلْمٍ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وَقَدْ سَمَى اللَّهُ مَا لَيْسَ بِعِلْمٍ بِالْجَهْلِ وَالشَّكِّ، وَالظَّنَّ وَالْخَرَصَ، وَالسَّفَهَ وَالرَّأْيَ لِأَنَّهَا كُلُّهَا لَيْسَتْ عِلْمًا. **أَوَّلًا: سَمَى اللَّهُ عَدَمَ الْعِلْمِ بِالْجَهْلِ.**

فَقَالَ فِي سُورَةِ هُودٍ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

ثَانِيًا: سَمَى اللَّهُ عَدَمَ الْعِلْمِ بِالشَّكِّ. فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ [النساء: ١٥٧].

ثَالِثًا: سَمَى اللَّهُ عَدَمَ الْعِلْمِ بِالْخَرَصِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الزُّخْرَفِ: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

رَابِعًا: سَمَى اللَّهُ عَدَمَ الْعِلْمِ بِالظَّنِّ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ
الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ
تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

خَامِسًا: سَمَّى اللَّهُ عَدَمَ الْعِلْمِ بِالسَّفَهَةِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قَدْ
خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

سَادِسًا: سَمَّى اللَّهُ بِوَحْيِ السُّنَّةِ عَدَمَ الْعِلْمِ بِالرَّأْيِ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ يُسْتَفْتُونَ
فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ» [رواه البخاري]^(١).

وَالِدَيْنِ: لَا يُعْرِفُ بِمَا رَأَاهُ الْعَالَمُ بِعَقْلِهِ، وَقَلْبِهِ لِأَنَّ هَذَا جَهْلٌ «فَيَبْقَى نَاسٌ
جُهَالٌ يُسْتَفْتُونَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ».

وَأَمَّا يُعْرِفُ الدِّينُ بِمَا رَأَاهُ الْعَالَمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ لِأَنَّهُ عِلْمٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
سَبَأٍ: ﴿وَبَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾
[سبأ: ٦]. وَيُعْرِفُ الدِّينُ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ الْعَالَمُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. قَالَ فِي سُورَةِ
النِّسَاءِ: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

فَاللَّهُ سَمَّى عَدَمَ الْعِلْمِ بِالشَّكِّ وَالظَّنِّ^(٢) وَسَمَّى أَصْحَابَ الرَّأْيِ الشَّكَّ وَالظَّنَّ
عِلْمًا. فَأَمَرَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِسُؤَالِهِمْ فَقَالَ: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٠].

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ مَا يُذَكَّرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ.

(٢) تَقْسِيمُ الْأَدْلَةِ إِلَى قَطْعِيٍّ وَظَنِّيٍّ تَقْسِيمٌ بِالرَّأْيِ وَلَيْسَ بِالْوَحْيِ وَتَقْسِيمٌ اصْطِلَاحِيٍّ وَلَيْسَ سَرْعِيًّا.

وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ^(١).

(١) الظَّنُّ اسْمٌ سَمَّى اللهُ بِهِ الْعِلْمَ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

وَأَسْمٌ سَمَّى اللهُ بِهِ مَا لَيْسَ بِعِلْمٍ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

فَكُلُّ ظَنٍّْ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ عِلْمٌ لِأَنَّهُ أُخِذَ مِنَ الْوَحْيِ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللهُ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فَظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ مَعْنَاهَا عِلْمُوا. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَطَنُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

وَكُلُّ ظَنٍّْ لِلْكَفَّارِ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ لَيْسَ بِعِلْمٍ لِأَنَّهُ أُخِذَ مِنَ الرَّأْيِ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَنَّةِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وَظَنَّ الْكُفَّارُ مَعْنَاهَا شَكُّوا. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَعَنِ شَكِّ مَنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَلَّوهُ يَقِينَا﴾ [النساء: ١٥٧].

وَالظَّنُّ اسْمٌ لِلْيَقِينِ، وَأَسْمٌ لِلشَّكِّ وَيُفَسِّرُهُ بِأَحَدِهِمَا مَا قَبِلَ الظَّنُّ وَمَا بَعْدَهُ. فَالظَّنُّ اسْمٌ لِلْيَقِينِ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي رُجُوعِ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا الْأَوَّلِ إِذَا طَلَّقَهَا الزَّوْجُ الثَّانِي: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

وَالظَّنُّ اسْمٌ لِلشَّكِّ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا فَلْتُمِ مَا يُدْرَى مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَكَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

وَقَدْ وَضَعَ اللهُ تَفْسِيرَ الظَّنِّ بِالْعِلْمِ وَالْيَقِينِ وَبِعَدَمِ الْعِلْمِ وَالشَّكِّ فِيمَا قَبْلَ الظَّنِّ وَمَا بَعْدَهُ فَانْظُرْ إِلَيْهِ وَسَتَرَى تَفْسِيرَ اللهِ لِلظَّنِّ فِي كُلِّ آيَةٍ.

فَانْظُرْ لِتَفْسِيرِ اللهِ لِلظَّنِّ بِعَدَمِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وَانْظُرْ لِتَفْسِيرِ اللهِ لِلظَّنِّ بِعَدَمِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وَانْظُرْ لِتَفْسِيرِ اللهِ لِلظَّنِّ بِالْيَقِينِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حَيْثُ رَفَعَ اللهُ جَبَلَ الطُّورِ فَوْقَ قَوْمِ مُوسَى حَتَّى رَأَوْهُ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ سَحَابَةٌ فَنَقَّبُوا أَنَّهُ سَيَبْعُ عَلَيْهِ ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبْلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١].

وَمِثْلُهَا هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢].

الدَّرْسُ الثَّالِثُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ عَلَامَاتِ الْجَاهِلِ

لِنَعْرِفَ بِهَا جَهْلَنَا وَجَهْلَ غَيْرِنَا حَتَّى نَتَعَلَّمَ وَنَعْلَمَ

الْعَلَامَةُ الْأُولَى: الْجَاهِلُ يَتَّبِعُ الْهَوَى فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَدِينِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الرُّوم: ٢٩].

الْعَلَامَةُ الثَّانِيَّةُ: الْجَاهِلُ يَعْمَلُ بِالْهَوَى فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَدِينِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩].

الْعَلَامَةُ الثَّالِثَةُ: الْجَاهِلُ يَعْمَلُ بِالرَّأْيِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَدِينِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

الْعَلَامَةُ الرَّابِعَةُ: الْجَاهِلُ يُجَادِلُ بِالرَّأْيِ لِرَدِّ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْحَجِّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج: ٣].

الْعَلَامَةُ الْخَامِسَةُ: الْجَاهِلُ يَدَّعِي أَنَّ مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ بِالرَّأْيِ هُوَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ بِالْوَحْيِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

الْعَلَامَةُ السَّادِسَةُ: الْجَاهِلُ يُنْفِقُ مَالَهُ لِتَضْلِيلِ النَّاسِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ لُقْمَانَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

وَعَلَيْهَا قَسِ اسْتَخْرَاجَ تَفْسِيرِ اللَّهِ لِقَوْلِهِ مِنْ قَوْلِهِ وَلَيْسَ مِنْ أَقْوَالِ الْمُفْسِّرِينَ.

بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿لَقَمَان: ٦﴾.

الْعَلَامَةُ السَّابِعَةُ: الْجَاهِلُ يَجْعَلُ شُرَكَاءَ اللَّهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

الْعَلَامَةُ الثَّامِنَةُ: الْجَاهِلُ يَسُبُّ اللَّهَ انْتِصَارًا لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فَهَذِهِ ثَمَانُ عِلَامَاتٍ نَعْرِفُ بِهَا أَنْفُسَنَا إِنْ كُنَّا عَلَى جَهْلٍ لِنُقْبِلَ عَلَى مَنْ أَتَانَا يُبَيِّنُ لَنَا مَا جَهِلْنَاهُ وَلِنُكْرِمَهُ فَإِنَّمَا هُوَ رَسُولٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ لَنَا لِنَجَاتِنَا.

وَنَعْرِفُ بِهَا الْجَاهِلَ مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا لِنُبَيِّنَ لَهُ مَا جَهِلَهُ لِنَجَاتِنَا مِنْ عَذَابِ كِتْمَانٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الرَّابِعُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ تَعْرِيفِ الْجَاهِلِيَّةِ لِنُفْرَقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ؛ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ، وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيُ يُوحَى أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنْ تَعْرِيفِ الْجَاهِلِيَّةِ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

أَوَّلًا: عَرَّفَ اللَّهُ الْجَاهِلِيَّةَ بِأَنَّهَا مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّاسُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنَ الرَّأْيِ فِي الْعَقَائِدِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿يُظُنُّوكَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وَالرَّأْيِ فِي الْحُكْمِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وَالرَّأْيِ فِي النُّصْرَةِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].

وَالرَّأْيِ فِي اللَّبَاسِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ثَانِيًا: فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ بِمَصْدَرِ التَّشْرِيعِ.

فَالْإِسْلَامَ مَصْدَرُهُ الْوَحْيُ فِي التَّشْرِيعِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ وَالْحُكْمِ
وَاللَّبَّاسِ وَرَدَّ دَلِيلِ الْإِجْمَاعِ عَلَى الرَّأْيِ بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَالْجَاهِلِيَّةَ مَصْدَرُهَا الرَّأْيُ فِي التَّشْرِيعِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ وَالْحُكْمِ
وَاللَّبَّاسِ وَرَدَّ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِدَلِيلِ الْإِجْمَاعِ عَلَى الرَّأْيِ.

فَفَرَّقَ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْجَاهِلِيَّةِ بِالْوَحْيِ وَالرَّأْيِ.

أَوَّلًا: مَصْدَرُ الْإِسْلَامِ فِي التَّشْرِيعِ الْوَحْيُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ:
﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

وَمَصْدَرُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي التَّشْرِيعِ الرَّأْيُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿أَمْ
لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فَمَنْ اسْتَدَلَّ بِالْوَحْيِ فِي التَّشْرِيعِ فَهُوَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ اسْتَدَلَّ بِالرَّأْيِ
فِي التَّشْرِيعِ فَهُوَ عَلَى الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى.

ثَانِيًا: مَصْدَرُ الْإِسْلَامِ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ الْوَحْيُ. قَالَ اللَّهُ فِي
سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا

حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾

[النحل: ١١٦].

وَمَصْدَرُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ الرَّأْيُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ:
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ
لِلَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

فَمَنْ كَانَ عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ بِالْوَحْيِ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ فَهُوَ عَلَى
الْإِسْلَامِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ بِالرَّأْيِ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ فَهُوَ عَلَى
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى.

ثَالِثًا: مَصْدَرُ الْإِسْلَامِ فِي الْحُكْمِ الْوَحْيِيُّ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ:
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وَمَصْدَرُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْحُكْمِ الرَّأْيِيُّ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿أَفَحُكْمَ
الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

فَمَنْ حَكَمَ بِالْوَحْيِ وَتَحَاكَمَ إِلَى الْوَحْيِ فَهُوَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ حَكَمَ
بِالرَّأْيِ وَتَحَاكَمَ إِلَى الرَّأْيِ فَهُوَ عَلَى الْجَاهِلِيَّةِ.

رَابِعًا: مَصْدَرُ الْإِسْلَامِ فِي رَدِّ التَّقْلِيدِ بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الْوَحْيِيُّ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ فِي الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ الْوَحْيِ وَالنَّهْيِ عَنِ تَقْلِيدِ
أَصْحَابِ الرَّأْيِ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ فِي الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ الْوَحْيِ وَالنَّهْيِ عَنْ تَقْلِيدِ أَصْحَابِ الرَّأْيِ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

وَمَصْدَرُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي رَدِّ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِقَوْلٍ مَّنْ يُقَلِّدُونَ الرَّأْيَ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

فَمَنْ رَدَّ قَوْلَ مَنْ يُقَلِّدُ بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ رَدَّ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِقَوْلٍ مَّنْ يُقَلِّدُ فَهُوَ عَلَى الْجَاهِلِيَّةِ.

خَامِسًا: مَصْدَرُ الْإِسْلَامِ فِي رَدِّ الْأَجْمَاعِ عَلَى الرَّأْيِ هُوَ الْوَحْيُ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّخْرَفِ: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٢٠) أَمْ ءَانِيتَهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠-٢٢].

وَمَصْدَرُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي رَدِّ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ دَلِيلُ الْإِجْمَاعِ عَلَى الرَّأْيِ.
فَرَدَّ الْمُشْرِكُونَ قَوْلَ نَبِيِّ اللَّهِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَلِيلِ الْإِجْمَاعِ عَلَى الرَّأْيِ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

وَرَدَّ الْمُشْرِكُونَ قَوْلَ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى بِدَلِيلِ الْإِجْمَاعِ عَلَى الرَّأْيِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [القصاص: ٣٦].

وَرَدَّ الْمُشْرِكُونَ قَوْلَ نَبِيِّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَلِيلِ الْإِجْمَاعِ عَلَى الرَّأْيِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ص: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِ الْمَلَةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾ [ص: ٧].

وَرَدَّ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي النَّهْيِ عَنِ الرَّأْيِ وَالتَّقْلِيدِ وَالْإِحْدَاثِ فِي الدِّينِ مَنْ رَدَّهُ بِدَلِيلِ الْإِجْمَاعِ عَلَى الرَّأْيِ.

فَمَنْ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى رَدِّ الْإِجْمَاعِ فَهُوَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ اسْتَدَلَّ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى رَدِّ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ عَلَى الْجَاهِلِيَّةِ.

فَفَرَّقَ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي تُفَرِّقُ الدِّينَ وَالْجَمَاعَةَ بِمَا فَرَّقَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَهُمَا فِي الْقُرْآنِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ [الرُّوم: ٣١، ٣٢].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الْكِتَابُ الثَّانِي: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْجَهْلِ وَالْخَطَا وَالنَّسْيَانِ وَالْإِكْرَاهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ؛ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةَ، وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَسْتَمِعُ إِلَى اللَّهِ لِيُحَدِّثَنَا عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْجَهْلِ وَالْخَطَا، وَالنَّسْيَانِ وَالْإِكْرَاهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

[النساء: ٨٧].

أَوَّلًا: الْجَاهِلُ^(١) هُوَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ حُكْمَ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَهُ^(٢). قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ هُودٍ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

ثَانِيًا: الْمُخْطِئُ^(٣) هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ حُكْمَ عَمَلِهِ الَّذِي أَخْطَأَ فِيهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

(١) فَالْجَاهِلُ لَا يَعْلَمُ فَيَحْتَاجُ إِلَى تَعْلِيمٍ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْجُمُعَةِ: ﴿وَيَعْلَمُهُمْ أَلْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

(٢) الْعَمَلُ: اسْمٌ لِعَمَلِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ.

(٣) فَالْمُخْطِئُ عَالِمٌ بِحُكْمِ مَا عَمَلَ وَلَيْسَ جَاهِلًا فَيَحْتَاجُ إِلَى تَذْكِيرٍ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الذَّرِيَّاتِ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

**فَالْمُخْطِئُ عَالِمٌ بِحُكْمِ مَا عَمِلَ وَلَيْسَ جَاهِلًا وَقَدْ عَذَرَهُ اللَّهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَعَمَّدِ
الْخَطَأَ.**

**ثَانِثًا: النَّاسِي (١) هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ حُكْمَ عَمَلِهِ الَّذِي نَسِيَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي
سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].**

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا قَالَ: الْمُؤْمِنُونَ:
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ اللَّهُ: قَدْ فَعَلْتُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] (٢).

فَالنَّاسِي عَالِمٌ بِحُكْمِ مَا عَمِلَ وَلَيْسَ جَاهِلًا وَقَدْ عَذَرَهُ اللَّهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَعَمَّدِ.

**رَابِعًا: الْمُكْرَهُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ حُكْمَ عَمَلِهِ الَّذِي أُجْبِرَ عَلَيْهِ. قَالَ اللَّهُ فِي
سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ
مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].**

**فَالْمُكْرَهُ عَالِمٌ بِحُكْمِ مَا عَمِلَ وَلَيْسَ جَاهِلًا وَقَدْ عَذَرَهُ اللَّهُ لِأَنَّهُ مُكْرَهُ
وَلَيْسَ مُخْتَارًا.**

**فَاللَّهُ عَذَرَ مَنْ يَعْلَمُ الْحُكْمَ إِذَا أَخْطَأَ أَوْ أُكْرِهَ أَوْ نَسِيَ لِفَقْدِهِ لِلْقُدْرَةِ وَهَذَا
دَلِيلٌ عَلَى رَدِّ دَعْوَى مَنْ يَدَّعِي أَنَّ الْعَبْدَ مُجْبُورٌ عَلَى الْعَمَلِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
الْبَقَرَةِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].**

وَقَالَ فِي سُورَةِ التَّغَابُنِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

(١) وَالنَّاسِي عَالِمٌ بِحُكْمِ مَا عَمِلَ وَلَيْسَ جَاهِلًا فَيَحْتَاجُ إِلَى تَذْكِيرٍ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الذَّرِيَّاتِ: ﴿وَذَكِّرْ
فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

(٢) صَحِيحٌ مُسْلِمٌ بَابُ بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُوا﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وَعَذَرَ اللَّهُ مَنْ لَا يَعْلَمُ الْحُكْمَ لِفَقْدِهِ لِلْعِلْمِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ:
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الكتاب الثالث: تحدث الله عن مَنْ عَذَرَهُ اللهُ

**بِالْجَهْلِ وَمَنْ لَمْ يَعْذُرْهُ اللهُ بِالْجَهْلِ
وَمَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى الْجَاهِلِ فِي ثَلَاثَةِ دُرُوسٍ**

الدُّرُسُ الْأَوَّلُ: مَنْ عَذَرَهُ اللهُ بِالْجَهْلِ

عَذَرَ اللهُ بِالْجَهْلِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللهِ مَا جَهِلَهُ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

فَاللهُ عَذَرَ الْجَاهِلَ بِجَهْلِهِ فِي تَرْكِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ^(١)، وَفَعَلَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ، وَإِنْكَارِ مَا أَحْبَبَ اللهُ بِهِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللهِ مَا جَهِلَهُ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ طه عَنْ حُجَّةٍ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ مَا جَهِلَهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: ١٣٤].

فَعَذَرَ اللهُ الْجَاهِلَ بِجَهْلِهِ مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا:

(١) اخْتَلَفَتْ فَتَوَى اللهُ وَفَتَاوَى الْعُلَمَاءُ فِي عَذْرِ الْمُسْلِمِ بِالْجَهْلِ فِي تَرْكِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَفَعَلَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنَ الشِّرْكِ.

فَعَذَرَهُ اللهُ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وَقَالَ اللهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا كُنَّا لِنُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥]. وَلَمْ يَعْذُرْهُ عُلَمَاءُ السَّلَفِ وَالْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ بِالْجَهْلِ فِي التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ. فَأَمَرَ اللهُ بِسُؤَالِهِمْ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

أَوَّلًا: عَذَرَ اللَّهُ كُلَّ مُسْلِمٍ^(١) بِجَهْلِهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ مِنْ يَبِينٍ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهَلَهُ فَيَنْتَهِي عَذْرُهُ بِالْجَهْلِ بِالْبَيَانِ لَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يَبِينَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

ثَانِيًا: عَذَرَ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ بِجَهْلِهِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ مِنْ يَبِينٍ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهَلَهُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمِهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ [القصاص: ٥٩].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) هَلْ يُعَذَّرُ الْمُسْلِمُونَ بِالْجَهْلِ الَّذِينَ أَوْفَعَهُمْ أَتْبَاعُ شُرَائِعِ الْعُلَمَاءِ الْمَذْهَبِيَّةِ فِي الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَتَحْرِيفِ كَلَامِ اللَّهِ عَنْ مَوْضِعِهِ. إِنْ لَمْ يَأْتِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِ شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَنْ يَبِينُ لَهُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا جَهَلَهُمْ فِيهِ أَتْبَاعُ شُرَائِعِ الْعُلَمَاءِ الْمَذْهَبِيَّةِ فَيُعَذَّرُونَ بِالْجَهْلِ، وَحُكْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ حُكْمُ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ فِي عَذْرِهِ لِمَنْ لَمْ يَأْتِهِ مَنْ يَبِينُ لَهُ مَا جَهَلَهُ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وإِنْ أَتَاهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَنْ يَبِينُ لَهُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا جَهَلُوهُ فَكَذَّبُوهُ، وَأَعْرَضُوا عَنْهُ، وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ لَمْ يُعَذَّرُوا. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكُذِّبُوا﴾ [غافر: ٧٠].

الدَّرْسُ الثَّانِي: مَنْ لَمْ يَعْذُرِ اللَّهَ بِجَهْلِهِ

لَمْ يَعْذُرِ اللَّهَ بِالْجَهْلِ مَنْ أَتَاهُ مِنْ يُبَيِّنُ لَهُ ^(١) بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهْلُهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَكَذَّبَهُ، وَكَفَرَ بِقَوْلِ اللَّهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَاسْتَكْبَرَ عَنْهُ.

أَوَّلًا: لَمْ يَعْذُرِ اللَّهَ جَاهِلًا، أَتَاهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهْلُهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ فَصَّلَتْ: ﴿كَتَبُ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ [فصلت: ٣، ٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣].

وَقَالَ فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢].

ثَانِيًا: لَمْ يَعْذُرِ اللَّهَ جَاهِلًا، أَتَاهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهْلُهُ فَكَذَّبَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٣].

ثَالِثًا: لَمْ يَعْذُرِ اللَّهَ جَاهِلًا، أَتَاهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهْلُهُ، فَكَفَرَ بِقَوْلِ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاخْتَرُوا فَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾ [غافر: ٢٢].

(١) الْجَاهِلُ الَّذِي يَأْتِيهِ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ غَيْرِ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَالْبَيِّنِ لَهُ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فَهَذَا يُعْذَرُ بِجَهْلِهِ لِأَنَّ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ لَيْسَتْ حُجَّةً فِي رَفْعِ الْجَهْلِ لِغَدَمِ عَصَمَتِهَا.

رَابِعًا: لَمْ يَعْذِرِ اللَّهُ جَاهِلًا، أَتَاهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهِلَهُ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَوْلِ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يُنُوسَ: ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» [رواه مُسْلِمٌ].

خَامِسًا: لَمْ يَعْذِرِ اللَّهُ جَاهِلًا، أَتَاهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهِلَهُ، فَاسْتَكْبَرَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٦].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

سَادِسًا: لَمْ يَعْذِرِ اللَّهُ جَاهِلًا، أَتَاهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهِلَهُ فَحَارَبَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ

مَنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذْتَ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾

[إبراهيم: ١٣].

فَمَنْ اسْتَجَابَ، لِمَنْ آتَاهُ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهِلَهُ نَجَا، وَمَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ عَذَابَ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُكُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

فَلَا ظَلَمَ لِحَاجِلٍ، آتَاهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهِلَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿وَحَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

وَلَا حُجَّةَ عَلَى اللَّهِ لِحَاجِلٍ، آتَاهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهِلَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَعَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ، مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١)، وَمُسْلِمٌ (٢)].

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ».

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ اللَّعَانِ.

وَلَا اعْتِرَاضَ لِجَاهِلٍ عَلَى عَذَابِهِ إِذَا أَتَاهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهِلَهُ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ طه: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا
أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ وَنَخْزِيَ﴾ [طه: ١٣٤].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الثَّالِثُ: مَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى الْجَاهِلِ

أَوَّلًا: لَا تَقُومُ الْحُجَّةُ عَلَى الْجَاهِلِ مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا، حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُ الْعُلَمَاءُ، قَوْلَ اللَّهِ بِالْمَعَانِي الَّتِي يَفْهَمُهَا فِي لُغَتِهِ الْعَرَبِيَّةِ إِنْ كَانَ عَرَبِيًّا وَالْعَجَمِيَّةِ إِنْ كَانَ أَعْجَمِيًّا وَالْعَامِيَّةِ إِنْ كَانَ عَامِيًّا. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

فَإِذَا فَهِمَ الْجَاهِلُ حُكْمَ مَا جَهِلَهُ انْتَهَى عَذْرُهُ بِالْجَهْلِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

ثَانِيًا: لَا تَقُومُ الْحُجَّةُ عَلَى الْجَاهِلِ بِأَيِّ قَوْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].
وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [النحل: ٦٤].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنْ الْكِتَابِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وَأَمَرَ اللَّهُ الْجَاهِلَ أَنْ يَسْأَلَ الْعُلَمَاءَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَيْسَ عَنْ أَقْوَالِهِمْ
وَأَقْوَالِ الْأُئِمَّةِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ وَالْأَنْبِيَاءِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وَكُلُّ بَيَانٍ لِلْجَاهِلِ بِغَيْرِ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَيْسَ حُجَّةً عَلَى الْجَاهِلِ وَإِنَّمَا
الْحُجَّةُ قَوْلُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا
بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠].

فَمَنْ بَيَّنَّ لِلْجَاهِلِ مَا جَهِلَهُ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فَلَمْ يُقِمَّ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ وَإِنَّمَا
دَعَاهُ لَاتَّخَاذِ الْعُلَمَاءَ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿اتَّخِذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الرَّابِعُ: الْأَعْمَالُ الَّتِي عَذَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْجَهْلِ فِيهَا

عَذَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ بِجَهْلِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي تَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ^(١)، وَفِعْلٍ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَإِنْكَارٍ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ مَنْ يَبَيِّنُ لَهُ بِقَوْلِ اللَّهِ مَا جَهَلَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ اللَّهِ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

وَمِنْ اسْتَنْى مِنَ الْأَمْرِ الْأَمْرَ بِالتَّوْحِيدِ وَمِنَ النَّهْيِ النَّهْيَ عَنِ الشَّرْكِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ فَقَدْ قَيَّدَ بَعْضُ مَا أَطْلَقَهُ اللَّهُ بِرَأْيِهِ وَالْوَحْيِ لَا يُقَيَّدُ إِلَّا بِالْوَحْيِ وَلَا يُقَيَّدُ بِالتَّعْلِيلِ بِالرَّأْيِ.

أَوَّلًا: عَذَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ بِالْجَهْلِ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الشَّرْكِ^(٢) مَعَ وَجُودِ النَّبِيِّ مَعَهُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَجَنُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا

(١) اخْتَلَفَتْ فِتْنَى اللَّهِ وَفَتَاوَى الْعُلَمَاءِ فِي عُذْرِ الْمُسْلِمِ بِالْجَهْلِ فِي تَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَفِعْلٍ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الشَّرْكِ.

فَعَذَرَهُ اللَّهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ اللَّهِ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

وَلَمْ يَعْذَرَهُ عُلَمَاءُ السَّلَفِ وَالْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ فَأَمَرَ اللَّهُ بِسُؤَالِهِمْ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]. فَانْظُرْ إِلَى الْأَعْلَمِ وَاعْمَلْ بِفَتْوَاهُ.

(٢) وَقُوعُهُ فِي الشَّرْكِ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ يُبْطِلُ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ شَرْطِ الْعُلَمَاءِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ أَنْ لَا يَكُونَ مَا وَقَعَ فِيهِ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ لِأَنَّ الشَّرْكَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ عَلَى اصْطِلَاحِهِمْ فِي شَرَائِعِ الْعُلَمَاءِ الْمَذْهَبِيَّةِ وَإِلَّا فَالِدِّينُ فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَيْسَ بِالضَّرُورَةِ.

عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا^(١)، يَمْوَسَىٰ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿[الأعراف: ١٣٨] وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَ لِلْكَفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ:

وَقُوْعُهُ فِي الشِّرْكِ مَعَ وَجُودِ النَّبِيِّ مَعَهُ يُبْطِلُ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ شَرْطِ الْعُلَمَاءِ فِي الْعُدْرِ بِالْجَهْلِ أَنْ يَكُونَ فِي بَلَدٍ لَيْسَ فِيهِ عُلَمَاءٌ.
وَقُوْعُهُ فِي الشِّرْكِ يُبْطِلُ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ شَرْطِ الْعُلَمَاءِ فِي الْعُدْرِ بِالْجَهْلِ أَنْ لَا يَكُونَ الْجَهْلُ فِي مَسَائِلِ الشِّرْكِ.
فَاللَّهُ فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَذَرُ الْمُسْلِمِ بِالْجَهْلِ فِي مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ وَفِي جَمِيعِ الْمَعَاصِي كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا.

وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ وَالْخَوَارِجِ فِي شَرَائِعِهِمُ الْمَذْهَبِيَّةِ لَمْ يَعْذِرُوا الْمُسْلِمَ بِالْجَهْلِ فِي مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ. وَاخْتَلَفُوا فِي الْعُدْرِ بِالْجَهْلِ فِي مَا دُونَ الشِّرْكِ مِنَ الْمَعَاصِي فَعَذَرَهُ عُلَمَاءُ السَّلَفِ وَلَمْ يَعْذِرْهُ عُلَمَاءُ الْخَوَارِجِ بِالْجَهْلِ فِي أَيِّ مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ أَوْ صَغِيرَةٍ.

فَفَرَّقَ بَيْنَ شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي كُلُّهَا وَحْيٌ وَصَوَابٌ وَلَا خِلَافَ فِيهَا وَبَيْنَ شَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ الْخِلَافِ الْمَذْهَبِيَّةِ الَّتِي فِيهَا وَحْيٌ وَرَأْيٌ وَصَوَابٌ وَخَطَأٌ وَخِلَافٌ حَتَّى لَا تَنْسِبَ الرَّأْيَ وَالْخَطَأَ وَالْخِلَافَ إِلَى شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي لَا رَأْيَ فِيهَا وَلَا خِلَافَ وَلَا خِلَافَ فِيهَا فِي الْعُدْرِ بِالْجَهْلِ فَاللَّهُ لَهُ قَوْلٌ وَاحِدٌ لِهَذَا الْجَاهِلِ إِنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ وَعَدَمَ عَذْرُ الْجَاهِلِ إِنْ آتَاهُ رَسُولٌ..
(١) اعْتِرَاضٌ: قَالُوا يَا مَوْسَىٰ أَنْتَ تَسْتَدِلُّ بِشَرِيعَةٍ مِنْ قَبْلِنَا وَلَيْسَ بِشَرِيعَتِنَا.

الْجَوَابُ: شَرِيعَةُ اللَّهِ فِي الْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ وَاحِدَةٌ لِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الزُّحُرْفِ: ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا اجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزحرف: ٤٥].

فَمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لِلْأَنْبِيَاءِ مِنَ الدِّينِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لِمُحَمَّدٍ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةِ خَضِرَاءَ عَظِيمَةٍ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿﴾» [رواه أحمد].

وَعَذَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ بِالْجَهْلِ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا هُوَ دُونَ الشَّرِكِ فَلَمْ يَأْمُرْ مَنْ أَحْرَمَ فِي تَوْبٍ وَتَطْيِبٍ بِفِدْيَةٍ. عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعْرَانَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: «كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ فِي جُبَّةٍ بَعْدَمَا تَضَمَّخَ بِالطَّيْبِ فَقَالَ: «أَمَّا الطَّيْبُ الَّذِي بِكَ فَاغْسِلْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَمَّا الْجُبَّةُ فَانْزِعْهَا ثُمَّ اصْنَعْ فِي عُمُرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١)، وَمُسْلِمٌ (٢)] وَأَمْثَلَتْهُ كَثِيرَةٌ.

ثَانِيًا: عَذَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ بِالْجَهْلِ فِي إنْكَارِهِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لئنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُجِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكَ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشِيتُكَ، أَوْ قَالَ مَخَافَتُكَ فَغَضَرَ لَهُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣)، وَمُسْلِمٌ (٤)].

(١) صحيح البخاري، باب: غَسْلُ الْخَلْقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

(٢) صحيح مسلم، باب: مَا يُبَاحُ لِلْمُحْرِمِ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ.

(٣) صحيح البخاري، باب: حَدِيثُ الْغَارِ.

(٤) صحيح مسلم، باب: فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا سَبَقَتْ غَضَبَهُ.

فَهَذَا الرَّجُلُ مُؤْمِنٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «يَا رَبِّ خَشِيتُكَ، أَوْ قَالَ مَخَافَتُكَ»
 وَاعْتِقَادُهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى جَمْعِهِ وَإِعَادَتِهِ ^(١) كُفْرٌ حَيْثُ قَالَ: «فَوَاللَّهِ لَئِنْ
 قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا» فَسَأَلَهُ اللَّهُ وَهُوَ أَعْلَمُ عَنْ سَبَبِ
 وَقُوعِهِ فِي الْكُفْرِ «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشِيتُكَ، أَوْ قَالَ
 مَخَافَتُكَ» فَعَذَرَهُ اللَّهُ بِجَهْلِهِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ فَعَفَرَ لَهُ.
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) فَالْهُدَى فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَذَرُ اللَّهِ الْمُسْلِمِ بِالْجَهْلِ فِي الْعَقِيدَةِ «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ:
 يَا رَبِّ خَشِيتُكَ، أَوْ قَالَ مَخَافَتُكَ» فَعَذَرَهُ اللَّهُ بِجَهْلِهِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ فَعَفَرَ لَهُ. وَأَتَّبَعَ شَرَائِعَ عُلَمَاءِ
 السَّلَفِ وَالْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِّلَةِ لَا يَعْذَرُونَ بِالْجَهْلِ فِي مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ. فَأَمَرَ اللَّهُ بِسُؤَالِهِمْ. فَقَالَ فِي
 سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]. فَانْظُرْ إِلَى الْأَعْلَمِ مِنَ اللَّهِ وَالْعُلَمَاءِ وَاعْمَلْ
 بِفَتْوَى الْأَعْلَمِ.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ: مَنْ عَذَرَهُ اللَّهُ بِالْجَهْلِ مِنَ الْكُفَّارِ وَمَنْ لَمْ يَعْذُرْهُ

عَذَرَ اللَّهُ بِالْجَهْلِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَلَمْ يَعْذُرْ بِالْجَهْلِ مَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

أَوَّلًا: لَمْ يَعْذُرِ اللَّهُ بِالْجَهْلِ مَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ^(١) بَيْنَ لَهُ مَا جَهِلَهُ.

فَعَذَّبَهُ فِي الدُّنْيَا. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٣].

وَعَذَّبَهُ فِي الْآخِرَةِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿يَبْنَىٰ ءَادَمُ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥، ٣٦].

ثَانِيًا: عَذَرَ اللَّهُ بِالْجَهْلِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ^(٢). فَلَمْ يَعْذُرْهُ فِي الدُّنْيَا

(١) لَمْ يَعْذُرِ اللَّهُ بِالْجَهْلِ مَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ مَا لَمْ يَكُنْ مَحْنُونًا. عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ: عَنِ الْمَحْنُونِ. حَتَّى يَعْقَلَ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

(٢) اعْتَرِاضٌ عَلَى قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ يَقُولُ اللَّهُ بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]. وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ: ﴿وَلِنْ مِنْ

وَلَا فِي الْآخِرَةِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ ^(١) حَتَّى يَبْعَثَ رَسُولًا ﴿[الإسراء: ١٥].

لَمْ يُعَذِّبْهُ فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا﴾ [القصاص: ٥٩]. وَقَالَ فِي سُورَةِ طه عَنْ حُجَّةٍ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ لَوْ عَذَّبَ: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَتِكَ مِّن قَبْلِ أَن نَّزِيلَ وَنَخْزِي﴾ [طه: ١٣٤].

وَلَمْ يُعَذِّبْهُ فِي الْآخِرَةِ.

أُمَّةٌ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿[فاطر: ٢٤].

الْجَوَابُ: أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا وَلَكِنْ مِنْهُمْ مَنْ لَقِيَ الرَّسُولَ وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَلْقَى الرَّسُولَ كَأَهْلِ الْفِتْرِ: قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِّنَ الرَّسْلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

وَمِنْهُمْ مَنْ أَنَاهُ الرَّسُولُ وَهُوَ مَجْنُونٌ فَلَمْ يَعْلَمْ عَنِ الرَّسُولِ شَيْئًا. عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ: عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَقُولَ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ]. وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ فِي زَمَنِ الرَّسُولِ وَهُوَ صَغِيرٌ فَلَمْ يَعْلَمْ عَنِ الرَّسُولِ شَيْئًا. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ].

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا، عَصَفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ الشُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ هَاهُنَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ هَاهُنَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

(١) الْآيَةُ مُطْلَقَةٌ فَمَنْ قَبِلَ الرَّسُولَ بِالْدُّنْيَا فَقَدْ قَبِلَ الْوَحْيَ بِالرَّأْيِ وَالْوَحْيَ لَا يَقْبَدُ إِلَّا بِالْوَحْيِ.

فَلَا يُدْخِلُ اللَّهُ النَّارَ أَحَدًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ حَتَّى يَسْأَلَهُمْ هَلْ فِيهِمْ
 أَحَدٌ جَاهِلٌ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فَيَشْهَدُونَ بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:
 ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي
 وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا
 وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِسُؤَالِ كُلِّ مَنْ حَكَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِدُخُولِ النَّارِ قَبْلَ دُخُولِهَا
 هَلْ فِيهِمْ أَحَدٌ جَاهِلٌ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فَيُجِيبُونَ بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى
 إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ
 عَلَيْكُمْ ءَايَتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الزمر: ٧١].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْمُلْكِ: ﴿كَلَّمَآ أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ
 ٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
 كَبِيرٍ ٩ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ
 فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٨-١١].

وَعَذَرَ اللَّهُ بِالْجَاهِلِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ مِنْ أَهْلِ الْفِتْرَةِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ
 الْمَائِدَةِ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ
 تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

وَعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ
 يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ اللَّهُ مَوَاتِيْعَهُمْ لِيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَنْ

ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا»
 [رواهُ ابْنُ حِبَّانَ^(١) فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِاتِّصَالِهِ، وَعَدَالَةِ رَوَاتِهِ، وَمِثْنٍ صَحِيحٍ لِمُوَافَقَتِهِ لآيَاتِ الْعُذْرِ
 بِالْجَهْلِ، وَآيَاتِ تَحْرِيمِ اللَّهِ لِلظُّلْمِ عَلَى نَفْسِهِ].

وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْفِتْرَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ رَسُولٌ فَحَكَمَ
 عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدُخُولِ النَّارِ كَأَبِي النَّبِيِّ وَابْنِ جَدْعَانَ وَعَمْرُو ابْنِ حُيٍّ
 وَأَصْحَابِ الْقُبُورِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ بَشَّرَهُمُ بِالنَّارِ وَأَصْحَابِ الْقُبُورِ مِنَ
 الْيَهُودِ الَّذِينَ أَخْبَرَ عَنْ عَذَابِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ مَنْ لَا يَعْذُرُ بِالْجَهْلِ
 الَّذِي عَذَرَ اللَّهُ بِهِ.

فَإِنَّمَا حَكَمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ عِلْمِهِ بِتَكْذِيبِهِمْ
 لِلرَّسُولِ الَّذِي سَيَأْتِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ»
 قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
 كَانُوا عَامِلِينَ» [رواهُ الْبُخَارِيُّ^(٢)، وَمُسْلِمٌ^(٣)].

وَسَيَأْتِيهِمُ الرَّسُولُ فِي الْآخِرَةِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا
 مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَحْكَمْ عَلَى مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فِي الدُّنْيَا لِمَوْتِهِ وَهُوَ
 صَغِيرٌ وَرَدَّ حُكْمَهُ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ بِاسْتِجَابَتِهِ لِلرَّسُولِ فِي الْآخِرَةِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١) صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ، ذَكَرَ الْإِخْبَارِ عَنْ وَصْفِ الْأَقْوَامِ الَّذِينَ يَحْتَجُّونَ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ.

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ» ^(١) بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(٢)، وَمُسْلِمٌ ^(٣)].

وَلَمْ يُفَرِّقِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَأَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فِي رَدِّ حُكْمٍ مَنْ مَاتَ وَهُوَ صَغِيرٌ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ بِاسْتِجَابَتِهِ لِلرَّسُولِ فِي الْآخِرَةِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(٤)، وَمُسْلِمٌ ^(٥)].

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى

(١) «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» مِنَ الْاسْتِجَابَةِ لِلرَّسُولِ فِي الْآخِرَةِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ فِي نَفْيِ تَعْذِيْبِهِ الْمَطْلُوقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِكُلِّ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. قَالَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدًا يَعْلَمُهُ بِمَا سَيَعْمَلُ وَإِنَّمَا يَدْخُلُهُ النَّارَ بِمَا عَمِلَ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا وَدَّعْتُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥].
وَاللَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدًا يَعْلَمُهُ بِمَا سَيَعْمَلُ وَإِنَّمَا يَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ بِمَا عَمِلَ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحْقَاف: ١٤]. وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].
وإِيمَانُهُ بِالرَّسُولِ الَّذِي سَيَأْتِيهِ فِي الْآخِرَةِ عَمَلٌ يَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ وَتَكْذِيبُهُ لِلرَّسُولِ الَّذِي سَيَأْتِيهِ فِي الْآخِرَةِ عَمَلٌ يَدْخُلُ بِهِ النَّارَ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٤٨. وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ.

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ.

(٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ.

(٥) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ.

جَنَازَةَ صَبِيٍّ^(١) مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٣)].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

(١) كُلُّ دَلِيلٍ صَحِيحٍ مُطْلَقٍ حَكَمَ اللَّهُ فِيهِ بِدُخُولِ جَمِيعِ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ النَّارَ قِيَدَهُ اللَّهُ بِمَنْ أَنَاهُ رَسُولٌ فِي الْآخِرَةِ فَكَذَّبَهُ. وَأَمَّا الْمَكْذُوبُ وَالضَّعِيفُ مِنْهَا فَيَكْفِيهِ حُكْمُهُ وَمَعَارَضَتُهُ لِلْقُرْآنِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ

وَكُلُّ دَلِيلٍ صَحِيحٍ مُطْلَقٍ حَكَمَ اللَّهُ فِيهِ بِدُخُولِ جَمِيعِ أَوْلَادِ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قِيَدَهُ اللَّهُ بِمَنْ أَنَاهُ رَسُولٌ فِي الْآخِرَةِ فَصَدَّقَهُ. وَأَمَّا الْمَكْذُوبُ وَالضَّعِيفُ مِنْهَا فَيَكْفِيهِ حُكْمُهُ وَمَعَارَضَتُهُ لِلْقُرْآنِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ

فَالصَّغِيرُ مِنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مَنْ عَاشَ مِنْهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِالرَّسُولِ فِي الدُّنْيَا وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِالرَّسُولِ فِي الدُّنْيَا.

وَالصَّغِيرُ مِنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِالرَّسُولِ فِي الْآخِرَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِالرَّسُولِ فِي الْآخِرَةِ.

وَقَدْ نَفَى اللَّهُ تَعْدِيْبَ كُلِّ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ إِنَّا إِنَّا﴾ [القصاص: ٥٩].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى يَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَلَوْ عَذَّبَ اللَّهُ أَحَدًا قَبْلَ أَنْ يُرْسِلَ لَهُ رَسُولًا لَاحْتِجَّ عَلَى اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ طه عَنْ قَوْلِ مَنْ يَحْتَجُّ عَلَى الْعَذَابِ قَبْلَ الرَّسُولِ: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ؕ إِنَّكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَ وَنَخْزِيَ﴾ [طه: ١٣٤].

(٢) صَحِيحٌ مُسْلِمٌ، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ.

(٣) صَحِيحٌ مُسْلِمٌ، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ.

الدَّرْسُ السَّادِسُ: أَسْبَابُ إِرْسَالِ الرُّسُلِ

قَبْلَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

أَوَّلًا: أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ حَتَّى لَا يَحْتَجَّ الْجَاهِلُ عَلَى اللَّهِ بِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ثَانِيًا: أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُولَ حَتَّى لَا يَحْتَجَّ الْجَاهِلُ عَلَى اللَّهِ بِأَنَّهُ عَذَّبَ وَلَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. فَقَالَ فِي سُورَةِ طه: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: ١٣٤].

ثَالِثًا: أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ قَبْلَ الْعَذَابِ حَتَّى لَا يَظْلِمَ جَاهِلًا لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿وَحَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الرُّوم: ٩].

رَابِعًا: أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ حَتَّى يَعْذَرَهُ الْمَعْدُوبُونَ. عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ، مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

خَامِسًا: جَعَلَ اللَّهُ الرُّسُولَ حُجَّةً لِمَنْ آمَنَ وَحُجَّةً عَلَى مَنْ كَذَّبَ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ».

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ اللَّعَانِ.

وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا يَمَسُّهُمْ
الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿[الأنعام: ٤٨، ٤٩]﴾.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الْكِتَابُ الرَّابِعُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ عُذْرِ الْعُلَمَاءِ

بِالْخَطَا وَالْإِكْرَاهِ وَالنِّسْيَانِ

أَوَّلًا: عَذَرَ اللَّهُ الْعُلَمَاءَ بِالْخَطَا فِي تَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَوْ فِعْلٍ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ أَوْ إِنْكَارٍ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا قَالَ: الْمُؤْمِنُونَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ اللَّهُ: قَدْ فَعَلْتُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١)].

فَمَنْ وَقَعَ فِي الْكُفْرِ وَالْبِدْعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ بِالْخَطَا عَذَرَهُ اللَّهُ مِنَ الْإِثْمِ وَالْكَفْرِ وَالْحَدِّ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ حَتَّى يَأْتِيَهُ مِنْ يُبَيِّنُ لَهُ خَطْئَهُ فَيَنْتَهِيَ عَذْرُهُ بِالْخَطَا. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ^(٢) بِهِ، وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

عَذْرُهُ مِنَ الْإِثْمِ. عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ^(٣) ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٤)، وَمُسْلِمٌ^(٥)].

-
- (١) صحيح مسلم، بَابُ بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].
(٢) الْعَالِمُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ حُكْمَ مَا عَمَلَهُ بِخِلَافِ الْجَاهِلِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ حُكْمَ مَا عَمَلَهُ.
(٣) هَذَا الْحَدِيثُ حَرَفَهُ بِالْخَطَا أَصْحَابُ الرَّأْيِ عَنْ مَوْضِعِهِ فَأَحَلُّوا بِتَحْرِيفِهِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الرَّأْيِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَحَرَفُوهُ مِنَ الْاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى الْاجْتِهَادِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ إِلَى الْاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى الْاجْتِهَادِ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ رَاجِعَ كِتَابِ الْاجْتِهَادِ لِلْمُؤَلَّفِ إِنْ شِئْتَ.
(٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ أَجْرِ الْحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ.
(٥) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ بَيَانِ أَجْرِ الْحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ.

وَعَذَرُهُ مِنَ الْكُفْرِ. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ فِي عُدْرِ مَنْ قَالَ كَلِمَةَ الْكُفْرِ بِالْخَطَا: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ» قَالَ: «أَخْطَا مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] ^(١). **وَسَبَبُ ^(٢) تَبْدِيعِ الْعُلَمَاءِ وَتَفْسِيْقِهِمْ عَدَمُ عُدْرِ الْعُلَمَاءِ بِالْخَطَا.**

(١) صحيح مسلم، باب: في الحِصْنِ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرْحِ بِهَا.

(٢) سَبَبُ تَبْدِيعِ الْعُلَمَاءِ وَتَفْسِيْقِهِمْ عَدَمُ عُدْرِ الْعُلَمَاءِ بِالْخَطَا

وَعَدَمُ عُدْرِ الْعُلَمَاءِ بِالْخَطَا فَتَنَةٌ وَبَلَاءٌ عَظِيمٌ اسْتَحِلَّ بِهِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِلاَ عِلْمٍ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الرُّعْدِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وَعُدُّ الْعُلَمَاءِ بِالْخَطَا لَيْسَ مَعْنَاهُ النَّهْيُ عَنْ كَشْفِ أَخْطَاءِهِمْ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنْ لَا تَجَاوَزَ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي كَشْفِ أَخْطَاءِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكْمِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَخْطَاءِهِمْ. فَكَشِفُ أَخْطَاءِ الْعُلَمَاءِ بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وَلَا نَكْشِفُ أَخْطَاءَ الْعُلَمَاءِ بِأَقْوَالِنَا لِأَنَّهُمَا رَأَيَا نَهَايَا اللَّهِ عَنْهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

وَلَا نَكْشِفُ أَخْطَاءَ الْعُلَمَاءِ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ لِأَنَّهُ تَقْلِيدٌ فِي الرَّأْيِ نَهَايَا اللَّهِ عَنْهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ فِي الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ الْوَحْيِ وَالنَّهْيِ عَنِ التَّقْلِيدِ فِي الرَّأْيِ. ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَدْكَرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وَنَحْكُمُ عَلَى الْمُخْطِئِ بِحُكْمِ اللَّهِ بِالْعَمَلِ عَنْهُ قَبْلَ عِلْمِهِ بِخَطِيئِهِ وَالْإِثْمَ بَعْدَ عِلْمِهِ بِخَطِيئِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

وَنَحْكُمُ عَلَى خَطِيئِهِ بِحُكْمِ اللَّهِ بِرَدِّهِ. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وَلَا نَجْتَازُ حُكْمَ اللَّهِ عَلَى الْمُخْطِئِ إِلَى مَا نَهَانَا اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْإِثْمِ وَالْبَغْيِ عَلَى الْمُخْطِئِ وَالْعُدْوَانِ عَلَيْهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الرُّعْدِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. =

ثَانِيًا: عَذَرَ اللَّهُ الْعَالَمَ ^(١) إِذَا أُكْرِهَ عَلَى تَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَوْ فَعَلَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ أَوْ إِنكَارِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ^(٢) وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

فَأَسْقَطَ اللَّهُ الْإِثْمَ وَالْكَفْرَ وَالْحَدَّ وَالْعَذَابَ عَنِ الْمُكْرِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ الْكُفْرِ بِالْعَفْوِ عَنْهُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وَأَسْقَطَ اللَّهُ الْإِثْمَ وَالْحَدَّ عَنِ الْمُكْرِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ الزَّوْنِ بِالْمَغْفِرَةِ لَهُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ النُّورِ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

فَأَطْلَقَ اللَّهُ فِي شَرِيعَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَفْوَ عَنِ الْمُكْرِهِ فِي الْإِثْمِ وَالْكَفْرِ وَالْحَدِّ وَالْعَذَابِ وَلَمْ يُقَيِّدْهُ.

= وَخَطَأَ جَمَاعَاتِ التَّبْدِيعِ فِي تَبْدِيعِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ لَا يَعْذُرُونَ الْعُلَمَاءَ بِالْخَطَأِ وَيُبَدِّعُونَ الْعُلَمَاءَ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَلَيْسَ بِأَقْوَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّتِي عَذَرَ فِيهَا بِالْخَطَأِ. وَيَكْفُرُونَ عَلَى الْعَالَمِ الَّذِي يَتَعَمَّدُ الْعَمَلُ بِالْخَطَأِ بِحُكْمِ الْعُلَمَاءِ وَلَيْسَ بِحُكْمِ اللَّهِ الَّذِي حَكَمَ عَلَيْهِ بِالْإِثْمِ وَرَدَّ خَطِيئَتَهُ وَحَرَّمَ الْبَغْيَ وَالْإِعْتِدَاءَ عَلَيْهِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ.

(١) الْعَالَمُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ حُكْمَ مَا عَمِلَهُ بِخِلَافِ الْجَاهِلِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ حُكْمَ مَا عَمِلَهُ.

(٢) عَذَرَ الْمُكْرِهَ مُطْلَقٌ لَمْ يُقَيِّدْ بِإِثْمٍ وَلَا حَدٍّ وَلَا عَذَابٍ وَلَا كُفْرٍ فَلَا تُقَيِّدُهُ.

وَكُلُّ قَيْدٍ سَتَرَاهُ فِي شَرَائِعِ الْعُلَمَاءِ الْمَذْهَبِيَّةِ فَهُوَ قَيْدٌ بِالرَّأْيِ وَالْوَحْيِ لَا يَقْتَدُ إِلَّا بِالْوَحْيِ.

ثَابِتٌ: عَذَرَ اللَّهُ الْعَالِمَ إِذَا نَسِيَ فِعْلَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَوْ تَرَكَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا قَالَ: الْمُؤْمِنُونَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ اللَّهُ: قَدْ فَعَلْتُ» [رواه مُسْلِمٌ] ^(١).

فَعَذَرَ اللَّهُ مَنْ تَرَكَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ نَاسِيًا ^(٢) حَتَّى يَذْكُرَهُ. فَعَذَرَ اللَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فِي وَقْتِهَا نَاسِيًا فِي الْإِثْمِ وَلَمْ يَعْذِرْهُ فِي تَرْكِ الْقَضَاءِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا» [رواه الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً، أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا» [رواه الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ]. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ» [رواه الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ].

(١) صحيح مسلم بابُ بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَّوْهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].
(٢) الْعُذْرُ بِالْجَهْلِ يَأْتِي مُطْلَقًا فِي الْإِثْمِ وَالْكَفَّارَةِ وَالْإِعَادَةِ وَالْحَدِّ وَالْعَذَابِ وَيَأْتِي مُقَيَّدًا كَالْعَفْوِ عَنِ الْإِثْمِ وَالْأَمْرِ بِالْإِعَادَةِ وَالْعَفْوِ عَنِ الْإِثْمِ وَالْأَمْرِ بِالْكَفَّارَةِ وَالْفِدْيَةِ فَأُطْلِقَتْ مَا أَطْلَقَهُ اللَّهُ وَقَيْدَ مَا قَيْدَهُ اللَّهُ.

وَعَذَرَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ نَاسِيًا.

فَعَذَرَ اللَّهُ مَنْ أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ نَاسِيًا فِي الْإِثْمِ وَالْقَضَاءِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ، فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الْكِتَابُ الْخَامِسُ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ تَعْرِيفِ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ وَشُرُوطِهَا وَأَقْسَامِهَا

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ تَعْرِيفِ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ وَشُرُوطِهَا

أَوَّلًا: عَرَّفَ اللَّهُ الْحُجَّةَ عَلَى الْجَاهِلِ فِي مَعْرِفَةِ رَبِّهِ وَدِينِهِ بِأَنَّهَا بَيَانُ قَوْلِ اللَّهِ لِلْجَاهِلِ فِيمَا جَهِلَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ثَانِيًا: وَضَعَ اللَّهُ شُرُوطًا لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ.

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الْبَيَانُ لِلْجَاهِلِ بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [النحل: ٦٤]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وَكُلُّ بَيَانٍ لِلْجَاهِلِ بِغَيْرِ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَيْسَ حُجَّةً عَلَى الْجَاهِلِ وَإِنَّمَا الْحُجَّةُ قَوْلُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠].

فَمَنْ يَنْ لِلْجَاهِلِ مَا جَهِلَهُ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فَلَمْ يُقَمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ وَإِنَّمَا
دَعَاهُ لَاتَّخَاذِ الْعُلَمَاءِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿ اتَّخَذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

فَلَا يُتَلَى عَلَى الْجَاهِلِ فِي بَيَانِ مَا جَهِلَهُ قَوْلٌ لغيرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي
سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ [الكهف: ٢٧].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا
أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الرعد: ٣٠].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا
عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا ﴾ [البقرة: ١٥١].

وَلَا يُقْصَصُ عَلَى الْجَاهِلِ فِي بَيَانِ مَا جَهِلَهُ قَوْلٌ لغيرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ اللَّهُ
فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿ يَمْعَشَرُ الْإِنْسُ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَقْصُصُ
عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وَلَا يُنْذَرُ الْجَاهِلُ بِقَوْلٍ لغيرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:
﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى
رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١].

وَلَا يُذَكَّرُ الْجَاهِلُ بِقَوْلٍ لغيرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ ق: ﴿ فَذَكِّرْ
بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وَأَمَرَ اللَّهُ الْجَاهِلَ أَنْ يَسْأَلَ الْعُلَمَاءَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَيْسَ عَنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَقْوَالِ غَيْرِهِمْ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ وَالْأَنْبِيَاءِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيْ إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

الشَّرْطُ الثَّانِي: فَهُمُ الْجَاهِلُ لِمَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ الَّذِي تَلَّى عَلَيْهِ.

فَيَبَيِّنُ لِلْجَاهِلِ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ بِالمَعْنَى الَّذِي يَفْهَمُهُ الْجَاهِلُ فِي لُغَتِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

فَإِذَا فَهِمَ الْجَاهِلُ حُكْمَ مَا جَهِلَهُ انْتَهَى عَذْرُهُ بِالْجَهْلِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

وَإِذَا سَمِعَ الْجَاهِلُ قَوْلَ اللَّهِ وَرَأَاهُ وَفَهِمَهُ انْتَهَى عُدْرُهُ بِالْجَهْلِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وَإِذَا جَادَلَ الْجَاهِلُ لِرَدِّ آيَاتِ اللَّهِ انْتَهَى عُدْرُهُ بِالْجَهْلِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۝٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الکهف: ٥٦، ٥٧].

وَإِذَا أَعْرَضَ الْجَاهِلُ عَنْ سَمَاعِ قَوْلِ اللَّهِ مِنْ آتَاهُ بِهِ انْتَهَى عُدْرُهُ بِالْجَهْلِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ السَّجْدَةِ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة: ٢٢].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدُّرُسُ الثَّانِي: اللهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ أَقْسَامِ الْحُجَّةِ

قَسَمَ اللهُ الْحُجَّةَ عَلَى الْجَاهِلِ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ وَدِينِهِ إِلَى قَسَمَيْنِ حُجَّةٌ قَبْلَ بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيٍّ، وَحُجَّةٌ بَعْدَ بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيٍّ.

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: الْحُجَّةُ مِنْ بَدَايَةِ الْخَلْقِ إِلَى بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيٍّ هِيَ الْفِطْرَةُ.

فَقَدْ عَرَفَ اللهُ لِلنَّاسِ نَفْسَهُ وَدِينَهُ بِالْفِطْرَةِ فَفَطَرَهُمْ عَلَى مَعْرِفَةِ رَبِّهِمْ وَدِينِهِمْ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٣٠].

فَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مُسْلِمِينَ يَعْرِفُونَ بِالْفِطْرَةِ مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ وَمَنْعَاهُمْ اللهُ عَنْهُ وَمَا أَحَلَّ لَهُمْ وَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَ بِالْفِطْرَةِ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَكْفُرُوا مِنْ غَيْرِ فَلَمْ يَحْتَاجُوا إِلَى كِتَابٍ وَلَا رَسُولٍ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

وَبَقِيَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً كُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ بِالْفِطْرَةِ لَيْسَ فِيهِمْ كَافِرٌ حَتَّى تَسْلُطَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَغَيَّرَ فِطْرَتَهُمْ وَحَرَفَهُمْ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ. عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «قَالَ اللهُ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلُّهُمْ، فَأَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ،

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ.

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ.

وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»
[رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وَأَعَانَتْ الْأَبَاءُ الشَّيَاطِينَ فِي تَغْيِيرِ فِطْرَةِ أَوْلَادِهِمْ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ
وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ^(٣): «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ
وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُشْرِكَانِهِ».

الْقِسْمُ الثَّانِي: حُجَّةٌ بَعْدَ بَعْثَةِ^(٤) أَوَّلِ نَبِيِّ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.
نَسَخَ اللَّهُ بِبَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيِّ الْحُجَّةِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَدِينِهِ بِالْفِطْرَةِ بِالْحُجَّةِ
بِالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ بَعْدَ أَنْ تَسَلَّطَ الشَّيْطَانُ وَالْأَبْوَانِ عَلَى تَغْيِيرِ الْفِطْرَةِ.
قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي نَسْخِ الْحُجَّةِ بِالْفِطْرَةِ بِالْحُجَّةِ بِالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ:
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ
الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

-
- (١) صحيح البخاري، باب: مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ.
(٢) صحيح مسلم، باب: مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ.
(٣) صحيح مسلم، باب: مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ.
(٤) الْفِطْرَةُ حُجَّةٌ إِلَى بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيِّ لِأَنَّ الشَّيَاطِينَ لَمْ تُغَيِّرْهَا وَلَيْسَتْ الْفِطْرَةُ حُجَّةً قَبْلَ نَزُولِ الْوَحْيِ
عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ. لِأَنَّ الشَّيَاطِينَ وَالْأَبَاءَ قَدْ غَيَّرُوهَا...

وَنَسَخَ ^(١) اللَّهُ الْعَمَلَ بِمَا تَعَلَّمَهُ الْجَاهِلُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَدِينِهِ بِالْفِطْرَةِ الْمُتَعَيِّرَةِ بِالْعَمَلِ بِمَا تَعَلَّمَهُ مِنَ الرَّسُولِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فَالْحُجَّةُ عَلَى الْجَاهِلِ بَعْدَ بَعَثَةِ أَوَّلِ نَبِيِّ هِيَ الْكِتَابُ وَالرَّسُولُ وَلَيْسَتْ الْفِطْرَةُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿يَبْنِي ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥، ٣٦].

(١) عُرِفَ نَسْخُ الْفِطْرَةِ وَالْمِيثَاقِ بِالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ بِتَقَدُّمِ الْفِطْرَةِ وَالْمِيثَاقِ وَتَأَخُّرِ الْكِتَابِ وَالرَّسُولِ.

وَمَنْ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الْحُجَّةِ قَبْلَ بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيِّ وَبَعْدَهُ اسْتَدَلَّ بِالْفِطْرَةِ عَلَى
عَدَمِ عُذْرِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فَاسْتَدَلَّ عَلَى عَدَمِ عُذْرِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ بِأَدِلَّةِ
الْفِطْرَةِ الْمَنْسُوخَةِ وَتَرَكَ أَدِلَّةَ الْكِتَابِ وَالرَّسُولِ النَّاسِخَةِ وَهَذَا أَحَدُ أَسْبَابِ
الْخِلَافِ فِي عَدَمِ عُذْرِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الثَّالِثُ: اللهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْحُجَّةِ

بَعْدَ بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيٍّ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ وَدِينِهِ^(١)

الْحُجَّةُ عَلَى الْجَاهِلِ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ وَدِينِهِ بَعْدَ بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيٍّ هِيَ الْكِتَابُ
وَالرَّسُولُ وَلَيْسَتْ الْفِطْرَةُ وَلَا الْمِيثَاقُ وَلَا الْعَقْلُ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ:
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾
[الأنعام: ١٩].

وَقَالَ اللهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَيْسَ
أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْعُذْرِ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ»
[رواهُ مُسْلِمٌ]^(٢).

فَبِالْكِتَابِ يُعْرَفُ الْإِيمَانُ وَبِالرَّسُولِ يُهْدَى الْإِنْسَانُ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ
الشُّورَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ

(١) مَعْرِفَةُ الرَّبِّ، وَالرَّسُولِ، وَالَّذِينَ مِنَ الْغَيْبِ. وَالْحُجَّةُ فِي مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ. الْكِتَابُ، وَالرَّسُولُ،
وَالْحُجَّةُ فِي التَّكْلِيفِ بِالْإِيمَانِ بِالرَّبِّ وَبِالرَّسُولِ، وَالْعَمَلِ بِالَّذِينَ هِيَ الْعَقْلُ، وَقَدْ خَلَطَ الْمَذْهَبُ
الْمُعْتَزَلِيُّ بَيْنَ الْحُجَّةِ فِي التَّكْلِيفِ بِالْعَمَلِ، وَالْحُجَّةِ فِي مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ. فَالْمُعْتَزَلَةُ جَعَلُوا الْحُجَّةَ فِي
التَّكْلِيفِ بِالْعَمَلِ حُجَّةً فِي مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ فَلَمْ يَعْذِرُوا الْكَافِرَ الَّذِي لَمْ يَأْتِهِ كِتَابٌ، وَلَا رَسُولٌ
بِالْجَهْلِ لِأَنَّهُ عَاقِلٌ. وَتَبَعَ الْمُعْتَزَلَةُ كُلُّ مَنْ لَمْ يَعْذُرْ بِالْجَهْلِ.

(٢) صحيح مسلم، بَابُ: غَيْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ.

وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ ﴿الشورى: ٥٢، ٥٣﴾.

وَقَبْلَ الْكِتَابِ وَالرُّسُولِ لَا عِلْمَ وَلَا هُدًى. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤].

فَأَقَامَ اللَّهُ الْحُجَّةَ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْكِتَابِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وَأَقَامَ اللَّهُ الْحُجَّةَ عَلَى الْجَاهِلِ بِالرُّسُولِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» [رواهُ مُسْلِمٌ^(١)].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

(١) صحيح مسلم، باب: وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ: اللهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْحُجَّةِ

فِي الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ وَالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ

الْحُجَّةُ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ: هِيَ الْعَقْلُ.

فَالْمَجْنُونُ لَمْ يَكْلَفْهُ اللهُ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ وَإِنْ أَتَاهُ رَسُولٌ.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ: عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(١) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ].

وَالْعَاقِلُ لَمْ يَكْلَفْهُ اللهُ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ إِذَا لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. فَقَالَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٢].

وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) سَنَّ أَبِي دَاوُدَ، بَابُ فِي الْمَجْنُونِ يَسْرِقُ أَوْ يُصِيبُ حَدًّا.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ: اللهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ مَا لَيْسَ بِحُجَّةٍ

بَعْدَ بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيِّ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ وَدِينِهِ

أَوَّلًا: المِيثَاقُ لَيْسَ حُجَّةً عَلَى الْجَاهِلِ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ وَدِينِهِ لِأَنَّهُ أَخَذَ المِيثَاقَ عَلَى ذُرِّيَةِ آدَمَ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُوا قَدْ نُسِي وَاسْقَطَ اللهُ التَّكْلِيفَ بِالنَّسْيَانِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا قَالَ: الْمُؤْمِنُونَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ» [رواه مُسْلِمٌ^(١)].

فَالْمِيثَاقُ قَبْلَ بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيِّ عُرِفَ بِالْفِطْرَةِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» [رواهُ الْبُخَارِيُّ^(٢)، وَمُسْلِمٌ^(٣)].

وَالْمِيثَاقُ بَعْدَ بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيِّ عُرِفَ بِالْكِتَابِ بِمَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ. قَالَ اللهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ثَانِيًا: الْفِطْرَةُ بَعْدَ بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيِّ لَيْسَتْ حُجَّةً عَلَى الْجَاهِلِ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ وَدِينِهِ لِأَنَّ الشَّيَاطِينَ وَالْأَبَاءَ غَيَّرُوهَا. عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «قَالَ اللهُ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ

(١) صحيح مسلم، باب: بَيَانُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

(٢) صحيحُ الْبُخَارِيِّ، باب: مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ.

(٣) صحيحُ مُسْلِمٍ، بابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ.

أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيَمَجِّسَانِهِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

فَنَسَخَ اللَّهُ الْحُجَّةَ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْفِطْرَةِ الَّتِي غَيَّرَتْ وَالْمِيثَاقَ الَّذِي نَسِيَ بِالْحُجَّةِ عَلَيْهِ بِالرَّسُولِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ثَابِتٌ: الْعَقْلُ لَيْسَ حُجَّةً عَلَى الْجَاهِلِ فِي مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ لِأَنَّ الْعَاقِلَ لَمْ يُطْلَعْهُ اللَّهُ عَلَى الْغَيْبِ وَالْحُجَّةُ فِي مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ الرَّسُولُ الَّذِي أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى الْغَيْبِ فَلْتَوْثُقْ بِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وَقَدْ تَعَلَّقَ مَنْ لَمْ يَعْزُرْ بِالْجَهْلِ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ فِي تَكْلِيفٍ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ تَعَلَّقَ بِالْمِيثَاقِ وَالْفِطْرَةِ وَالْعَقْلِ فَعَمِلُوا فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْأَدِلَّةِ الْمَنْسُوخَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنَ الْمِيثَاقِ وَالْفِطْرَةِ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِالْأَدِلَّةِ النَّاسِخَةِ الْمُتَأَخِّرَةِ مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ.

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ: مَا قَبِلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ.

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ كُلِّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ.

وَاسْتَدَلُّوا^(١) بِالْعَقْلِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ عَلَى مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ وَإِنْ لَمْ يَأْتِهِ كِتَابٌ وَلَا رَسُولٌ.

حَدَّثَنَا أَصْحَابُ الرَّأْيِ عَنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ عَنْ مَنْ لَمْ يَعْذُرْ مَنْ عَذَرَهُ اللَّهُ بِالْجَهْلِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْإِنْسَانِ عَقْلاً لِيَعْرِفَ بِهِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَإِنْ لَمْ يَأْتِهِ كِتَابٌ، وَلَا رَسُولٌ» [رَوَاهُ صَاحِبُ الرَّأْيِ فِي كِتَابِ الظُّلِّ مِنْ حَدِيثٍ مَنْ جَعَلَ الْعُلَمَاءَ أَرْبَابًا].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْإِنْسَانِ عَقْلاً لِيَتَّبِعَ بِهِ الْكِتَابَ وَالرَّسُولَ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وَاسْتَدَلُّوا بِالْفِطْرَةِ وَالْمِثَاقِ وَالْعَقْلِ عَلَى التَّكْلِيفِ فِي مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ بِغَيْرِ كِتَابٍ وَلَا رَسُولٍ. حَدَّثَنَا أَصْحَابُ الرَّأْيِ عَنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ عَنْ مَنْ لَمْ يَعْذُرْ مَنْ عَذَرَهُ اللَّهُ بِالْجَهْلِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ فَطَرَ النَّاسَ^(٢) عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخَذَ

(١) وَأَتَّبَعَ الْمَذْهَبَ الْمُعْتَرِيَّ وَبَعْضُ أَتْبَاعِ الْمَذْهَبِ السَّلَفِيِّ خَلَطُوا بَيْنَ الْحُجَّةِ فِي التَّكْلِيفِ، وَالْحُجَّةِ فِي الْمَعْرِفَةِ فَالْحُجَّةُ فِي التَّكْلِيفِ الْعَقْلُ، وَالْحُجَّةُ فِي الْمَعْرِفَةِ، الْكِتَابُ وَالرَّسُولُ. فَجَعَلُوا حُجَّةَ التَّكْلِيفِ حُجَّةً لِلْمَعْرِفَةِ.

(٢) نَظَرَ فِي أدَلَّةِ الْفِطْرَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَنْظُرْ فِي دَلِيلِ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ تَسَلَّطَ عَلَى النَّاسِ، وَغَيَّرَ فِطْرَتَهُمْ، وَبَدَّلَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ بِالْكُفْرِ، وَالْحَلَالَ، بِالْحَرَامِ، وَالْحَرَامَ بِالْحَلَالِ وَالْعِلْمَ بِالْجَهْلِ، وَأَصْبَحُوا لَا يَعْرِفُونَ الْفِطْرَةَ إِلَّا بِالْكِتَابِ، وَالرَّسُولِ الَّذِي عَلَّمَهُ اللَّهُ وَجْهْلُوهُ. عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي قَالَ إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّ لَهْمٍ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا]. وَنَظَرَ فِي دَلِيلِ الْمِثَاقِ، وَلَمْ يَنْظُرْ فِي أدَلَّةِ عَدَمِ التَّكْلِيفِ بِالنَّسْيَانِ.

عَلَيْهِمْ مِيثَاقًا أَنْ لَا يَكْفُرُوا، وَخَلَقَ لَهُمْ عُقُولًا حَتَّى يَعْرِفُوا وَإِنْ لَمْ يَأْتِهِمْ كِتَابٌ،
وَلَا رَسُولٌ» [رَوَاهُ صَاحِبُ الرَّأْيِ فِي كِتَابِ الظَّنِّ مِنْ حَدِيثِ مَنْ جَعَلَ الْعُلَمَاءَ أَرْبَابًا].

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ الَّذِي خَلَقَ لَهُمُ الْعَقْلَ، وَفَطَرَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخَذَ
عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ أَنْ لَا يَكْفُرُوا هُوَ الَّذِي حَكَمَ بِعُذْرٍ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ إِذَا لَمْ يَأْتِهِ
كِتَابٌ وَلَا رَسُولٌ. ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

فَمَنْ أَخَذَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَرَكَ بَعْضَهُ لَمْ يَفَرِّقْ بَيْنَ الْحُجَّةِ فِي مَعْرِفَةِ
الْغَيْبِ وَالْحُجَّةِ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ فَاسْتَدَلَّ بِالْحُجَّةِ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ عَلَى
أَنَّهَا حُجَّةٌ فِي الْمَعْرِفَةِ.

وَمَنْ أَخَذَ الْكِتَابَ كُلَّهُ اسْتَدَلَّ بِأَدِلَّةِ الْحُجَّةِ فِي مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ عَلَى الْحُجَّةِ
فِي الْمَعْرِفَةِ وَاسْتَدَلَّ بِأَدِلَّةِ الْحُجَّةِ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ عَلَى الْحُجَّةِ فِي الْإِيمَانِ
وَالْعَمَلِ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



= وَنَظَرُ فِي أَدِلَّةِ أَنَّ الْحُجَّةَ فِي التَّكْلِيفِ الْعَقْلُ، وَلَمْ يَنْظُرْ فِي أَدِلَّةِ أَنَّ الْحُجَّةَ فِي الْمَعْرِفَةِ الْكِتَابُ، وَالرَّسُولُ
وَلَيْسَ الْعَقْلُ فَاخْتَلَطَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ فِي التَّكْلِيفِ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَعْرِفَةِ فَظَنُّوا أَنَّ الْحُجَّةَ فِي التَّكْلِيفِ
حُجَّةٌ فِي الْمَعْرِفَةِ.

الكتاب السادس: الله يتحدث عن حكمه على المسلم إذا وقع في الكفر وأقسام المسلمين في الإيمان بحكم الله على من كفر من المسلمين في ثلاثة دروس

حكم الله بعذر المسلم إذا وقع في الكفر جاهلاً أو مخطئاً أو مكرهاً، وحكم الله بعدم عذر المسلم إذا وقع في الكفر عالماً عامداً مختاراً.

الدرس الأول: الله يتحدث عن حكمه على المسلم إذا وقع في الكفر جاهلاً أو مخطئاً أو مكرهاً

أولاً: عذر الله المسلم إذا وقع في الكفر جاهلاً، وحكم ببراءته من الكفر، حتى يأتيه من يبين له بقول الله ما جهله. قال الله في سورة التوبة: ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ ^(١) لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٥].

وقال في سورة الأنعام: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

ثانياً: عذر الله المسلم إذا وقع في الكفر مخطئاً، وحكم ببراءته من الكفر، حتى يأتيه من يبين له بقول الله خطئه.

(١) حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ يُبَيِّنُ مَالَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ اشْتِرَاطِ أَنْ لَا يَكُونَ الْجَهْلُ فِي مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالشَّرِكِ لِأَنَّ الْآيَةَ مُطْلَقَةٌ وَمَنْ قَيَّدَهَا فَإِنَّمَا قَيَّدَهَا بِالرَّأْيِ وَالْوَحْيِ لَا يَقْيِدُ إِلَّا بِالْوَحْيِ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

ثَابِتًا: عَذَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمَ إِذَا وَقَعَ فِي الْكُفْرِ مُكْرَهًا، وَحَكَمَ بِبِرَائَتِهِ مِنَ الْكُفْرِ حَتَّى يَزُولَ الْإِكْرَاهُ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

رَابِعًا: لَمْ يَعْذِرِ اللَّهُ الْمُسْلِمَ، إِذَا وَقَعَ فِي الْكُفْرِ عَالِمًا عَامِدًا مُخْتَارًا، وَحَكَمَ بِإِدَانَتِهِ بِالْكُفْرِ، وَخُرُوجِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةً الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٦٥ ﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧].

وَحَكَمَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِ، إِذَا اخْتَارَ الْكُفْرَ عَالِمًا عَامِدًا، بِالْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

وَحَكَّمَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِ، إِذَا وَقَعَ فِي الشَّرِكِ عَالِمًا عَامِدًا، بِالْكَفْرِ
وَالْعَذَابِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ﴾ [النساء: ١٥٣].

وَذَكَرَ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَنْ نَسِيَ مِنْهُمْ، بِحُكْمِ عِبَادَةِ الْعِجْلِ. قَالَ اللَّهُ فِي
سُورَةِ طه: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ
الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠].

فَتَعَمَّدُوا عِبَادَةَ الْعِجْلِ عَلَى عِلْمٍ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ طه: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ
عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [طه: ٩١].

فَحَكَّمَ اللَّهُ بِعَذَابِهِمْ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ
سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾
[الأعراف: ١٥٢].

ثُمَّ قَيَّدَ اللَّهُ الْحُكْمَ بِالْعَذَابِ، عَلَى مَنْ وَقَعَ فِي الشَّرِكِ، بِمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ. فَقَالَ فِي
سُورَةِ الْأَعْرَافِ عَنْ مَنْ تَابَ مِنْ أَصْحَابِ الْعِجْلِ: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ
ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الثَّانِي: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْمُسْلِمِ

فِي الدُّنْيَا إِذَا وَقَعَ فِي الْكُفْرِ عَالِمًا عَامِدًا مُخْتَارًا

حَكَمَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِ، إِذَا اخْتَارَ الْكُفْرَ عَالِمًا عَامِدًا، وَلَمْ يَتَّبِعْ بِأَحْكَامِ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

أَوَّلًا: يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْكَافِرِ فَيُفْسَخُ عَقْدُ نِكَاحِهِ.

فَلَا تَحِلُّ الْمُسْلِمَةُ لِكَافِرٍ، وَلَا يَحِلُّ الْكَافِرُ لِمُسْلِمَةٍ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمُتَحَنِّةِ: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾ [المتحنة: ١٠].

وَلَا تَحِلُّ الْمُسْلِمَةُ لِكَافِرٍ حَتَّى يُؤْمِنَ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١].

وَلَا تَحِلُّ الْكَافِرَةُ لِمُسْلِمٍ حَتَّى تُؤْمِنَ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْمُتَحَنِّةِ: ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ [المتحنة: ١٠].

ثَانِيًا: يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْكَافِرِ، فَلَا تَوَارُثَ بَيْنَ مُسْلِمٍ وَكَافِرٍ. عَنْ
أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ» [رواهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ بَابُ حُكْمِ الْمُزْتَدِّ وَالْمُزْتَدَّةِ وَاسْتِثْنَائِهِمْ.

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ بَابُ: لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ.

ثَابِتًا: يُعَاقَبُ عَلَى كُفْرِهِ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَتُبْ، بِالْقَتْلِ، وَلَا يَقْتُلُهُ إِلَّا وَلِيُّ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] (١).

رَابِعًا: يُعَاقَبُ عَلَى كُفْرِهِ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ عُقُوبَةُ الْكُفَّارِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمُتْ وَهُوَ كَاكِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ثُمَّ قَيَّدَ اللَّهُ الْحُكْمَ، بِالْكُفْرِ وَالْعَذَابِ عَلَى الْمُسْلِمِ، إِذَا اخْتَارَ الْكُفْرَ عَالِمًا عَامِدًا بِمَنْ لَمْ يَتُبْ، وَمَاتَ عَلَى الْكُفْرِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمُ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٦-٨٩].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) صَحِيحُ مُسْلِمٍ كِتَابُ الْفَرَائِضِ.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ: أَقْسَامُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِيمَانِ

بِحُكْمِ اللَّهِ عَلَى مَنْ كَفَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

لَقَدْ نَقَسَمَ الْمُسْلِمُونَ، فِي الْإِيمَانِ بِحُكْمِ اللَّهِ عَلَى مَنْ كَفَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.
إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ آمَنَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَقِسْمٌ آمَنَ بِنَعْصِهِ.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، فَأَمَنُوا بِحُكْمِ الْإِدَانَةِ، وَحُكْمِ الْبَرَاءَةِ.
فَأَمَنُوا بِحُكْمِ اللَّهِ بِإِدَانَةِ الْمُسْلِمِ بِالْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، إِذَا اخْتَارَ
الْكُفْرَ عَالِمًا عَامِدًا.

وَأَمَنُوا بِحُكْمِ اللَّهِ، بِبَرَاءَةِ الْمُسْلِمِ مِنَ الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابِ فِي
الْآخِرَةِ، إِذَا اخْتَارَ الْكُفْرَ جَاهِلًا أَوْ مُحْطًا أَوْ مُكْرَهًا فَبَرَّأُوهُ.

فَمَدَحَهُمُ اللَّهُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾
[آل عمران: ١١٩]. وَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِهِ
كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِبَعْضِ الْكِتَابِ، فَأَمَنُوا بِحُكْمِ اللَّهِ بِتَكْفِيرِ الْمُسْلِمِ الْعَالِمِ
الْعَامِدِ الْمُخْتَارِ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِحُكْمِ اللَّهِ بِعُذْرِ الْمُسْلِمِ الْجَاهِلِ فَكَفَرُوهُ.

فَتَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا
جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ
يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ كَالْمُرَجَّةِ، لَا يُؤْمِنُونَ بِكُفْرِ، مَنْ كَفَرَهُ
اللَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَاسْتَدْلُوا بِأَدِلَّةٍ مَنْ أَدْخَلَهُ اللَّهُ فِي الْإِيمَانِ عَلَى إِيْمَانٍ مَنْ أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنَ
الْإِيمَانِ.

فَأَمَّنُوا بِأَدِلَّةٍ مَنْ أَدْخَلَهُ اللَّهُ فِي الْإِيمَانِ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِأَدِلَّةٍ مَنْ أَخْرَجَهُ اللَّهُ
مِنَ الْإِيمَانِ.

فَأَخَذُوا أَدِلَّةَ الدُّخُولِ فِي الْإِيمَانِ، وَتَرَكُوا أَدِلَّةَ الْخُرُوجِ مِنَ الْإِيمَانِ.
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الكتاب السابع: الله يتحدّث عن حكمه على الكافر في الدنيا والآخرة وأقسام المسلمين في الإيمان بحكم الله على الكافر في أربعة دُروس

الدّرس الأول: تحدّث الله عن حكمه على الكافر في الدنيا.

**وصف الله^(١) كل كافر في الدنيا بالكافر والمُشرك وإن لم يأتِه رسولٌ.
وحكم بعذره بالجهل إن لم يأتِه رسولٌ.
وحكم بعدم عذره بالجهل إن أتاه رسولٌ.**

(١) حُجَّة مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِعُذْرِ الْكَافِرِ بِالْجَهْلِ أَنَّ اللَّهَ وَصَفَ الْمُشْرِكَ بِالْمُشْرِكِ، وَالْكَافِرَ بِالْكَافِرِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ رَسُولٌ، فَقَالَ لَوْ عَذَرَهُ بِالْجَهْلِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ رَسُولٌ لَمْ يَصِفْهُ بِالْكَافِرِ وَالْمُشْرِكِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ رَسُولٌ فَخَلَطَ بَيْنَ الْوَصْفِ وَالْحُكْمِ.

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، فَاللَّهُ الَّذِي وَصَفَهُ بِالْكَافِرِ وَالْمُشْرِكِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ رَسُولٌ هُوَ الَّذِي عَذَرَهُ بِالْجَهْلِ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فَلَمْ يُعَذِّبْهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا﴾ [القصاص: ٥٩].

وَعَذَرَهُ بِالْجَهْلِ فِي الْآخِرَةِ إِذَا لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فَلَمْ يُعَذِّبْهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْوَصْفِ بِالْكَفْرِ وَالْحُكْمِ بِالْعَذْرِ حَتَّى يَقْدُمَا أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَوَصَفَ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ مُشْرِكٌ وَكَافِرٌ لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ حَتَّى يُوصَفَ بِالْمُؤْمِنِ وَحُكِّمَهُ إِنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ مُعَذَّرٌ بِجَهْلِهِ وَإِنْ أَتَاهُ رَسُولٌ فَلَيْسَ بِمُعَذَّرٍ.

وَلَكِنَّهُمْ اسْتَدَلُّوا بِأَدَلَّةٍ وَصَفَ اللَّهُ لِلْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا بِالْكَافِرِ وَالْمُشْرِكِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ رَسُولٌ عَلَى إِبْطَالِ الْعَمَلِ بِأَدَلَّةٍ حُكِّمَ اللَّهُ بِعُذْرِهِ بِجَهْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ وَجَمَعُوا لَكَ جَمِيعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ فِيهَا الْكَافِرَ بِالْكَافِرِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ رَسُولٌ لِيُفْنِعُوكَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْذِرْهُ بِالْجَهْلِ فَانْتَبِهْ هُمْ فَسَوْفَ يَسْتَدِلُّونَ بِأَدَلَّةٍ إِنْثَبَاتٍ وَصَفَ الْكَافِرَ فِي الدُّنْيَا بِالْكَفْرِ وَالْمُشْرِكِ قَبْلَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَى إِبْطَالِ الْعَمَلِ بِأَدَلَّةٍ الْحُكْمِ بِعُذْرِهِ بِالْجَهْلِ فِي الْآخِرَةِ إِنْ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ..

فَفَرَّقَ بَيْنَ الْوَصْفِ وَالْحُكْمِ. فَالْوَصْفُ كَافِرٌ وَحُكْمُهُ مَعْذُورٌ بِالْجَهْلِ إِنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ وَغَيْرُ مَعْذُورٍ بِالْجَهْلِ إِنْ أَتَاهُ رَسُولٌ.

أَوَّلًا: وَصَفَ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ فِي الدُّنْيَا بِالْكَافِرِ وَالْمُشْرِكِ وَإِنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ.

وَصَفَهُ اللَّهُ بِالْكَافِرِ وَإِنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. فَقَالَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٤٣) وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿[سَبَأٌ: ٤٣، ٤٤].

وَوَصَفَهُ بِالْمُشْرِكِ وَإِنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. فَقَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

ثَانِيًا: عَذَرَهُ اللَّهُ ^(١) بِالْجَهْلِ إِذَا لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ.

فَلَمْ يُعَذِّبْهُ فِي الدُّنْيَا. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا﴾ [القصاص: ٥٩].

(١) اخْتَلَفَتْ فِتْوَى اللَّهِ وَفَتَاوَى الْعُلَمَاءِ فِي عَذْرِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ بِالْجَهْلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَعَذَرَهُ اللَّهُ بِالْجَهْلِ إِذَا لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. فَلَمْ يُعَذِّبْهُ فِي الدُّنْيَا. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا﴾ [القصاص: ٥٩].

وَعَذَرَهُ بِالْجَهْلِ إِذَا لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. فَلَمْ يُعَذِّبْهُ فِي الْآخِرَةِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وَلَمْ يُعَذِّبْهُ الْعُلَمَاءُ بِالْجَهْلِ مَنْ عَذَرَهُ اللَّهُ فَأَمَرَ اللَّهُ بِسُؤَالِهِمْ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]. فَأَنْظَرُوا إِلَى الْأَعْلَمِ وَاعْمَلُوا بِفِتْوَاهُ.

وَقَالَ فِي سُورَةِ طه: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].

ثَابِتٌ: لَمْ يَعْذَرُهُ اللَّهُ بِالْجَهْلِ إِذَا آتَاهُ رَسُولٌ.

فَعَذَّبَهُ فِي الدُّنْيَا.

عَذَّبَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مَنْ آتَاهُ رَسُولٌ فَكَذَّبَهُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ النحل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾

[النحل: ١١٣].

وَعَذَّبَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مَنْ آتَاهُ رَسُولٌ فَكَفَرَ بِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ غافر: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢٢].

وَعَذَّبَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مَنْ آتَاهُ رَسُولٌ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ يونس: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُم رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣].

وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١].

وَعَذَّبَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مَنْ آتَاهُ رَسُولٌ فَحَارَبَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣].

وَنَصَرَ اللَّهُ الرَّسُولَ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْمُكَذِّبِينَ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧].

وَأَنْذَرَ اللَّهُ بِعَذَابِهِ فِي الدُّنْيَا الْمُكَذِّبِينَ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢].
وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا آخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الثَّانِي: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْكَافِرِ فِي الْآخِرَةِ

عَذَرَ اللَّهُ بِالْجَهْلِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ ^(١) وَلَمْ يَعْذُرْ مَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ ^(٢).

أَوَّلًا: لَمْ يَعْذُرِ اللَّهُ بِالْجَهْلِ مَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ بَيَّنَّ لَهُ مَا جَهِلَهُ فَكَذَّبَهُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿يَبْنِيٰٓ ءَادَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي ۖ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥، ٣٦].

(١) اخْتَلَفَتْ فِتْوَى اللَّهِ وَفَتَاوَى الْعُلَمَاءِ فِي عَذْرِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ بِالْجَهْلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَعَذَرَهُ اللَّهُ بِالْجَهْلِ فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فَلَمْ يَعْذُبْهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ [القصاص: ٥٩].
وَعَذَرَهُ بِالْجَهْلِ فِي الْآخِرَةِ إِذَا لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فَلَمْ يَعْذُبْهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥٠]. وَلَمْ يَعْذُرْهُ الْعُلَمَاءُ بِالْجَهْلِ مَنْ عَذَرَهُ اللَّهُ فَأَمَرَ اللَّهُ بِسُؤَالِهِمْ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]. فَانْظُرْ إِلَى الْأَعْلَمِ وَاعْمَلْ بِفِتْوَاهُ.
(٢) عَذَرَهُ مَا لَمْ يَكُنْ مُحْتَوًّا.

ثَانِيًا: عَذَرَ اللَّهُ بِالْجَهْلِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ يَبَيِّنُ لَهُ مَا جَهِلَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَنَفَى اللَّهُ أَنْ يُعَذَّبَ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فِي الدُّنْيَا يَبَيِّنُ لَهُ مَا جَهِلَهُ أَوْ رَسُولٌ فِي الْآخِرَةِ يَخْتَبِرُ طَاعَتَهُ لِلَّهِ أَوْ مَعْصِيَتَهُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَعَذَرَ اللَّهُ أَهْلَ الْفِتْرِ بِالْجَهْلِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ رَسُولٌ فِي الدُّنْيَا يَبَيِّنُ لَهُمْ مَا جَهِلُوهُ أَوْ رَسُولٌ فِي الْآخِرَةِ يَخْتَبِرُ بِهِ طَاعَتَهُمْ لِلَّهِ أَوْ مَعْصِيَتَهُمْ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

وَعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ^(١) يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمٌّ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُّ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي الْفِتْرِ فَيَأْخُذُ اللَّهُ مَوَاقِفَهُمْ لِيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا» [رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ]^(٢) فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِاتِّصَالِهِ، وَعَدَالَةِ رَوَاتِهِ، وَمَتْنٍ صَحِيحٍ لِمُوَافَقَتِهِ لَأَيَاتِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ، وَأَيَاتِ تَحْرِيمِ اللَّهِ لِلظُّلْمِ عَلَى نَفْسِهِ.

(١) الْأَحْمَقُّ الَّذِي زَالَ عَقْلُهُ بِالْجُنُونِ وَالْهَرِمُ الَّذِي زَالَ عَقْلُهُ بِالْكِبَرِ فِي السَّنِّ وَالْفِتْرَةُ الزَّمَنُ بَيْنَ النَّبِيِّينَ.

(٢) صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنْ وَصْفِ الْأَقْوَامِ الَّذِينَ يَحْتَجُّونَ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَلَوْ عَذَّبَ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ لَأَحْتَجَّ عَلَى اللَّهِ. قَالَ فِي سُورَةِ طه عَنْ حُجَّةِ
 مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا
 أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذَلَ وَنُخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الثَّالِثُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْكَافِرِ فِي الْآخِرَةِ حَدِيثًا مُجْمَلًا ^(١) ثُمَّ فَصَّلَهُ

فَقَالَ فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿الرَّ كِنْتُ أَحْكَمْتُ ^(٢) أَيْنَهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ
حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١].

فَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ عَذَابِ كُلِّ كَافِرٍ فِي الْآخِرَةِ فَأَطْلَقَ الْوَعِيدَ بِالْعَذَابِ
لَمَنْ آتَاهُ رَسُولٌ وَلَمَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ ثُمَّ قَيَّدَ اللَّهُ الْوَعِيدَ بِمَنْ آتَاهُ رَسُولٌ فَقَيَّدَ مَا
قَيَّدَهُ ^(٣) اللَّهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

فَاللَّهُ أَطْلَقَ الْوَعِيدَ بِعَذَابِ كُلِّ مُشْرِكٍ وَكَافِرٍ آتَاهُ رَسُولٌ أَوْ لَمْ يَأْتِهِ. فَقَالَ
فِي سُورَةِ الْبَيِّنَةِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [البينة: ٦].

-
- (١) فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ: أَخَذُوا الْكِتَابَ كُلَّهُ فَأَخَذُوا قَوْلَ اللَّهِ الْمُجْمَلَ وَأَخَذُوا قَوْلَ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِهِ.
وَفِي شَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْحَلَفِ الْمَذْهَبِيَّةِ: أَخَذُوا بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَرَكُوا بَعْضَهُ فَأَخَذُوا قَوْلَ اللَّهِ
الْمُجْمَلَ وَتَرَكُوا قَوْلَ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِهِ وَأَخَذُوا أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ فِي تَفْسِيرِهِ.
- (٢) الْإِحْكَامُ وَصَفٌ لِكُلِّ قَوْلٍ عَامٍّ وَمُطْلَقٍ وَلِكُلِّ قَوْلٍ يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ.
وَالْتَفْصِيلُ لِلْإِجْمَالِ هُوَ إِضْوَاحُ لِمَعَانِي الْقَوْلِ الْمُجْمَلِ وَبَيَانُ لِمَا خُصَّ مِنْهُ وَمَاقِيْدَ وَمَا نُسِخَ.
- (٣) فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَطْلَقَ اللَّهُ الْوَعِيدَ بِعَذَابِ كُلِّ مُشْرِكٍ وَكَافِرٍ آتَاهُمْ رَسُولٌ، أَوْ لَمْ يَأْتِهِمْ ثُمَّ
قَيَّدَ اللَّهُ بِعِلْمِ الْوَعِيدِ وَعَدَمِ الْعُدْرِ بِالْجَهْلِ بِمَنْ آتَاهُمْ رَسُولٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَلَقَدْ
جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَفَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].
- وَفِي شَرَائِعِ الْعُلَمَاءِ الْمَذْهَبِيَّةِ أَطْلَقُوا مَا قَيَّدَهُ بِلاَ عِلْمٍ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ
إِنْ يَنْتَعُونَ إِلَّا الْأُظُنَّ وَإِنَّ الْإِظْنَ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

ثُمَّ اسْتَشْنَى اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ:
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَأُطْلِقَ اللَّهُ الْوَعِيدَ بِالْعَذَابِ وَمَنَعَ الْمَغْفِرَةَ عَنْ كُلِّ كَافِرٍ أَتَاهُ رَسُولٌ أَوْ لَمْ يَأْتِهِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩].

ثُمَّ قَيَّدَ اللَّهُ الْعَذَابَ وَمَنَعَ الْمَغْفِرَةَ بِمَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ فَكَذَّبَهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمَا نُزِيلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

وَأُطْلِقَ اللَّهُ الْوَعِيدَ لِكُلِّ كَافِرٍ بِمَنَعِ التَّوْبَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ أَتَاهُ رَسُولٌ أَوْ لَمْ يَأْتِهِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨].

ثُمَّ اسْتَشْنَى اللَّهُ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ طه عَنْ حُجَّةٍ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].

وَأَطْلَقَ اللَّهُ الْوَعِيدَ بِالْعَذَابِ لِكُلِّ كَافِرٍ يَمُوتُ عَلَى الْكُفْرِ أَتَاهُ رَسُولٌ
أَوْ لَمْ يَأْتِهِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ
عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ
الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦١، ١٦٢].

وَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ
يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١].

ثُمَّ قَيَّدَ اللَّهُ الْعَذَابَ بِمَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿يَبْنَـ
ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥، ٣٦].

وَاللَّهُ أَطْلَقَ الْوَعِيدَ بِعَذَابٍ كُلِّ مَنْ يَعْمَلُ فِي الدِّينِ عَلَى جَهْلٍ أَتَاهُمْ
رَسُولٌ أَوْ لَمْ يَأْتِهِمْ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾
الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الکہف: ١٠٣، ١٠٤].
وَحَكَّمَ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ. فَقَالَ فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الکہف: ١٠٥].

ثُمَّ قَيَّدَ اللَّهُ الْوَعِيدَ بِالْعَذَابِ وَالْحُكْمَ بِالتَّكْفِيرِ بِمَنْ آتَاهُ رَسُولٌ فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ. فَقَالَ فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا﴾ [الكهف: ١٠٦].

فَقَيَّدَ اللَّهُ الْوَعِيدَ لِكُلِّ كَافِرٍ بِالْعَذَابِ وَمَنَعَ الْمَغْفِرَةَ وَالتَّوْبَةَ وَعَدَمَ الْعُذْرَ بِالْجَهْلِ بِمَنْ آتَاهُمْ رَسُولٌ. فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَعَذَرَ اللَّهُ بِالْجَهْلِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ مِنْ أَهْلِ الْفِتْرَةِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

وَنَفَى اللَّهُ بِوَحْيِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعَذَّبَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَنَفَى اللَّهُ بِوَحْيِ السُّنَّةِ أَنْ يُعَذَّبَ فِي الْآخِرَةِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمٌّ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُّ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ فَيَأْخُذُ اللَّهُ مَوَاقِفَهُمْ لِيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا» [رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ^(١)، فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لَا تَصَالِيهِ، وَعَدَالَةٍ رَوَاتِهِ، وَمَتْنٍ صَحِيحٍ مُوَافَقَتِهِ لِآيَاتِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ، وَآيَاتِ تَحْرِيمِ اللَّهِ لِلظُّلْمِ عَلَى نَفْسِهِ.

(١) صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنْ وَصْفِ الْأَقْوَامِ الَّذِينَ يَحْتَجُّونَ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَعَذَرَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فَلَمْ يُدْخِلْهُ النَّارَ فَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْأَلُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ قَبْلَ دُخُولِ النَّارِ هَلْ فِيهِمْ أَحَدٌ جَاهِلٌ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فَيَشْهَدُونَ بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿يَمْعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يِقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْأَلُوا كُلَّ مَنْ حَكَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِدُخُولِ النَّارِ قَبْلَ دُخُولِهَا هَلْ فِيهِمْ أَحَدٌ جَاهِلٌ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فَيُجِيبُونَ بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الزمر: ٧١].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْمُلْكِ: ﴿كُلَّمَا أَلْفَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٨-١١].

وَعَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ، مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١)، وَمُسْلِمٌ (٢)].

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ».

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ اللَّعَانِ.

فَكُلُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ أَوْحِيدٌ فِي السُّنَّةِ أَطْلَقَ اللَّهُ فِيهَا الْوَعِيدَ بِالْعَذَابِ
لِكُلِّ كَافِرٍ أَتَاهُ رَسُولٌ أَوْ لَمْ يَأْتِهِ فَقَدْ قَيَّدَهُ اللَّهُ بِمَنْ جَاءَهُ كِتَابٌ وَرَسُولٌ فَكَذَّبَ
بِهِمَا. فَقَالَ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ
رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠].

وَأَطْلَقَ اللَّهُ الْوَعِيدَ فِي وَحْيِ السُّنَّةِ بِتَعْدِيبِ أَهْلِ الْفِتْرِ مَنْ جَاءَهُ رَسُولٌ
وَمَنْ لَمْ يَأْتِهِ ثُمَّ قَيَّدَ اللَّهُ مَا أَطْلَقَهُ مِنَ الْوَعِيدِ لِأَهْلِ الْفِتْرِ بِمَنْ جَاءَهُ رَسُولٌ.
فَقَالَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ
مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾
[المائدة: ١٩].

فَلَا خِلَافَ بَيْنَ أَقْوَالِ اللَّهِ فِي عُذْرِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
فَكُلُّ مَا أَطْلَقَهُ اللَّهُ مِنْ عَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ قَيَّدَهُ اللَّهُ بِمَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ.
وَأِنَّمَا الْخِلَافُ بَيْنَ أَقْوَالِ اللَّهِ وَأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَطْلَقُوا مَا قَيَّدَهُ اللَّهُ.
فَأَمَرَ اللَّهُ بِسُؤَالِهِمْ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾
[البقرة: ١٤٠].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الدَّرْسُ الرَّابِعُ: أَقْسَامُ الْمُسْلِمِينَ

فِي الْإِيمَانِ بِحُكْمِ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِ

لَقَدْ انْقَسَمَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْإِيمَانِ بِحُكْمِ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِ إِلَى قِسْمَيْنِ قِسْمٌ آمَنَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَقِسْمٌ آمَنَ بِبَعْضِهِ.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ كُلِّهِ فَأَمَنُوا بِوَصْفِ اللَّهِ لِمَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ بِالْكَافِرِ وَعُذْرُهُ لَهُ بِالْجَهْلِ.

فَمَدَحَهُمُ اللَّهُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾

[آل عمران: ١١٩].

وقال في سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ

عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِبَعْضِ الْكِتَابِ فَأَمَنُوا بِقَوْلِ اللَّهِ فِي وَصْفِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ بِالْكَافِرِ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِقَوْلِ اللَّهِ فِي عُذْرِهِ بِالْجَهْلِ.

فَتَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الكتاب الثامن: تَحَدَّثَ اللهُ عَنْ أَسْبَابِ الْخِلَافِ

فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ الَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: أَخَذَ بَعْضُ الْكِتَابِ.

فَكُلُّ مَنْ أَفْتَى بِعَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَدْ أَخَذَ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَرَكَ بَعْضَهُ.

أَوَّلًا: أَخَذَ قَوْلَ اللَّهِ الْمُجْمَلَ وَتَرَكَ قَوْلَ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِهِ.

ثَانِيًا: أَخَذَ قَوْلَ اللَّهِ الْعَامَّ وَتَرَكَ قَوْلَ اللَّهِ الْحَاصَّ الَّذِي نَسَخَ بِهِ الْعَمَلَ بِقَوْلِهِ الْعَامَّ.

ثَالِثًا: أَخَذَ قَوْلَ اللَّهِ الْمُطْلَقَ وَتَرَكَ قَوْلَ اللَّهِ الْمُقَيَّدَ الَّذِي نَسَخَ بِهِ الْعَمَلَ بِقَوْلِهِ الْمُطْلَقِ.

رَابِعًا: أَخَذَ أُدْلَةً وَصَفَ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ بِالْكَافِرِ وَتَرَكَ أُدْلَةً عُذْرَ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ بِالْجَهْلِ.

خَامِسًا: أَخَذَ الْأَدْلَةَ الْمُطْلَقَةَ فِي الْوَعِيدِ لِكُلِّ كَافِرٍ أَتَاهُ رَسُولٌ أَوْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ وَتَرَكَ الْأَدْلَةَ الَّتِي قَيَّدَ اللَّهُ فِيهَا الْوَعِيدَ لِكُلِّ كَافِرٍ بِمَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ فَكَذَّبَهُ.

سَادِسًا: أَخَذَ الْأَدْلَةَ الْمَنْسُوخَةَ فِي مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ بِالْفِطْرَةِ وَتَرَكَ الْأَدْلَةَ الَّتِي نَسَخَتْ الْفِطْرَةَ بِالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ فِي مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ.

وَأَخَذَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَرَكَ بَعْضَهُ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ الْعُلَمَاءِ فِي شَرَائِعِ الْعُلَمَاءِ
الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ تَعَمَّدُوا الْعَمَلَ بِهَا فَحَكَّمَ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمُنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضِ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۝

[النساء: ١٥٠، ١٥١].

وَأَخَذَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَرَكَ بَعْضَهُ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ الْعُلَمَاءِ فِي شَرَائِعِ عُلَمَاءِ
السَّلَفِ وَالْخَلَفِ الْمَذْهَبِيَّةِ. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ عَنِ اتِّبَاعِ سُنَنِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي أَخْذِ بَعْضِ الْكِتَابِ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ»
قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

وَمَنْ أَخَذَ بَعْضَ الْكِتَابِ مِنْ اتِّبَاعِ شَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ الْمَذْهَبِيَّةِ
حَكَّمَ اللَّهُ عَلَى مَنْ أَخْطَأَ مِنْهُمْ بِالْعَفْوِ عَنْهُ وَحَكَّمَ عَلَى مَنْ تَعَمَّدَ بِالْإِثْمِ. قَالَ اللَّهُ
فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ
قُلُوبُكُمْ ۝﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وَحَكَّمَ اللَّهُ بِرَدِّ خَطِيئَتِهِمْ. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ مَا ذَكَرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

وَأَخَذَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَرَكَ بَعْضَهُ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ تَقْلِ الْخِلَافِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ فَيَنْقُلُونَ الْخِلَافَ بَيْنَ مَنْ يَأْخُذُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَبَيْنَ مَنْ يَأْخُذُونَ بَعْضَهُ عَلَى أَنَّهُ خِلَافٌ بَيْنَ أَقْوَالِ اللَّهِ الَّتِي لَا خِلَافَ بَيْنَهَا. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

السَّبَبُ الثَّانِي: تَحْرِيفُ كَلَامِ اللَّهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

أولاً: حَرَفُوا أَدْلَةَ وَصَفِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ بِالْكَافِرِ وَالْمُشْرِكِ إِلَى الِاسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَى عَدَمِ عُذْرِهِ بِالْجَهْلِ.

فَقَالُوا لَوْ عَذَرَ اللَّهُ بِالْجَهْلِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ لَمْ يَصِفْ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ بِالْكَافِرِ وَالْمُشْرِكِ. فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ وَصَفَ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ بِالْكَافِرِ بِعُذْرِهِ لَهُ بِالْجَهْلِ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْبَأُ عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا﴾ [القصاص: ٥٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ طه عَنْ حُجَّةٍ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ وَنَخْزِي﴾ [طه: ١٣٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ثانياً: حَرَفُوا أَدْلَةَ عَدَمِ عُذْرِ مَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ وَاسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى عَدَمِ عُذْرِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ.

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ عَذَرَ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَلَمْ يَعْزُرْ مَنْ أَنَاهُ رَسُولٌ. فَقَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].
فَمَوْضِعُ أَدِلَّةٍ وَصَفِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ بِالْكَافِرِ هُوَ وَصْفُهُ.
وَمَوْضِعُ أَدِلَّةٍ عُذْرِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ هُوَ عُذْرُهُ فَضَعَ كُلَّ دَلِيلٍ فِي مَوْضِعِهِ.

نَاشِئًا: حَرَّفُوا الِاسْتِدْلَالَ بِوُجُودِ الْعَقْلِ عَلَى التَّكْلِيفِ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ إِلَى الِاسْتِدْلَالَ بِوُجُودِ الْعَقْلِ عَلَى التَّكْلِيفِ بِمَعْرِفَةِ الْغَيْبِ.

فَقَالُوا: لَا يُعْذَرُ الْعَاقِلُ بِالْجَهْلِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَدِينِهِ وَإِنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنَّ الْعَاقِلَ لَمْ يُطْلَعْهُ اللَّهُ عَلَى الْغَيْبِ وَأُطْلِعَ الرَّسُولُ عَلَى الْغَيْبِ لِيُبَلِّغَهُ. فَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وَتَحْرِيفُ كَلَامِ اللَّهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْعُلَمَاءِ فِي شَرَائِعِ الْعُلَمَاءِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

وَقَدْ تَعَمَّدَ أَتْبَاعُ شَرَائِعِ الْعُلَمَاءِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ تَحْرِيفَ كَلَامِ اللَّهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

فَحَكَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ لِتَعَمُّدِهِمْ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ٤٦].

وَتَحْرِيفُ الْكَلَامِ عَنْ مَوَاضِعِهِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْعُلَمَاءِ فِي شَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ الْمَذْهَبِيَّةِ أَخْطَاؤًا فِي الْعَمَلِ بِهَا. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَنْ أَتْبَاعِ سُنَنِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي تَحْرِيفِ كَلَامِ اللَّهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ: «لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ تَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَا تَبْعَثُهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْهَودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

وَقَدْ أَخْطَأَ أَتْبَاعُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ الْمَذْهَبِيَّةِ فِي تَحْرِيفِ كَلَامِ اللَّهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلَمْ يَتَعَمَّدُوا فَحَكَمَ اللَّهُ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

وَحَكَمَ اللَّهُ بِرَدِّ خَطِيئَتِهِمْ. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ مَا ذَكَرَ عَنْ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ.

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ أَتْبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

وَتَحْرِيفُ كَلَامِ اللَّهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ نَقْلِ الْخِلَافِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَشَرْحِ السُّنَّةِ فَيَنْقُلُونَ الْخِلَافَ بَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّونَ بِكَلَامِ اللَّهِ فِي مَوْضِعِهِ، وَيَبْنِي مَنْ يُحَرِّفُونَهُ، عَلَى أَنَّهُ خِلَافٌ بَيْنَ أَقْوَالِ اللَّهِ الَّتِي لَا خِلَافَ بَيْنَهَا. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

السَّبَبُ الثَّالِثُ: الِاسْتِدْلَالُ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ بِأَقْوَالِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وَالِاسْتِدْلَالُ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْعُلَمَاءِ فِي شَرَائِعِ الْعُلَمَاءِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْكَبًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وَالِاسْتِدْلَالُ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْعُلَمَاءِ فِي شَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ الْمَذْهَبِيَّةِ. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَنْ اتِّبَاعِ سُنَنِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الِاسْتِدْلَالِ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ: «لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)، وَمُسْلِمٌ^(٢)].

وَالِاسْتِدْلَالُ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْخِلَافِ. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، بَابُ مَا ذَكَرَ عَنْ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ.

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

فَيَنْقُلُونَ الْخِلَافَ بَيْنَ أَقْوَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ، وَبَيْنَ أَقْوَالِ
عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى أَنَّهُ خِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَجِدُ الْمُسْلِمُ خِيَارًا إِلَّا
أَنْ يَخْتَارَ مَذْهَبًا يَعْمَلُ بِقَوْلِ إِمَامِهِ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ هَلْ قَوْلُ إِمَامِهِ وَحْيٌ أَمْ رَأْيٌ
صَوَابٌ أَمْ خَطَأٌ

وَلَوْ قَالُوا اخْتَلَفَ قَوْلُ اللَّهِ وَأَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ لَعَلِمَ الْمُسْلِمُ
الْعَالِمُ وَالْعَامِيُّ أَنَّ الصَّوَابَ فِي قَوْلِ اللَّهِ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الكتاب التاسع: فَرَّقَ بوجُودِ (١) الخِلافِ في العُذرِ

بِالْجَهْلِ بَيْنَ شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَشَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ الْمَذْهَبِيَّةِ

أولاً: لَا يُوجَدُ خِلَافٌ بَيْنَ أَقْوَالِ اللَّهِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

فَلِلَّهِ قَوْلٌ وَاحِدٌ فِي شَرِيعَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَذَرَ فِيهِ بِالْجَهْلِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ، وَلَمْ يَعْذُرْ مَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

عَذَرَ اللَّهُ بِالْجَهْلِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ إِنَّا إِنَّا﴾ [القصاص: ٥٩].

(١) وَكُلُّ خِلَافٍ يَنْفُلُهُ أَتْبَاعُ شَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ الْمَذْهَبِيَّةِ: فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَيْسَ بَيْنَ أَقْوَالِ اللَّهِ وَإِنَّمَا هُوَ خِلَافٌ بَيْنَ أَقْوَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْوَالِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ وَبَيْنَ أَتْبَاعِ الْوَحْيِ وَأَتْبَاعِ الرَّأْيِ، وَبَيْنَ مَنْ يَأْخُذُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَبَيْنَ مَنْ يَأْخُذُونَ بِبَعْضِهِ، وَبَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّونَ بِأَقْوَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي مَوَاضِعِهَا وَبَيْنَ مَنْ يُحَرِّفُونَهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا، وَبَيْنَ مَنْ يُطْلِقُونَ مَا أَطْلَقَ اللَّهُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْمَعَانِي اللَّغَوِيَّةِ وَبَيْنَ مَنْ يَقْدُونَهَا بِالرَّأْيِ، وَبَيْنَ مَنْ يَقْدُونَهَا مَا قَدَّ اللَّهُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْمَعَانِي اللَّغَوِيَّةِ وَبَيْنَ مَنْ يُطْلِقُونَهَا بِالرَّأْيِ، وَبَيْنَ مَنْ يُفَسِّرُونَ الْأَلْفَاظَ الْمُجْمَلَةَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِقَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبَيْنَ مَنْ يُفَسِّرُهَا بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ رَاجِعَ كِتَابِ أَسْبَابِ نَقْلِ الْخِلَافِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ لِلْمُؤَلَّفِ إِنْ شِئْتَ.

وَقَالَ فِي سُورَةِ طه عَنْ حُجَّةٍ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ: ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].

وَلَمْ يَعْذِرِ بِالْجَهْلِ مَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].
وَقَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥، ٣٦].

ثَانِيًا: الْخِلَافُ فِي حُكْمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ الَّذِي يَنْقُلُهُ أَتْبَاعُ شَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ الْمَذْهَبِيَّةِ خِلَافُ بَيْنَ أَقْوَالِ اللَّهِ وَأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَلَيْسَ بَيْنَ أَقْوَالِ اللَّهِ.

فَمَنْ جَمَعَ أَقْوَالَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ وَفَسَّرَ أَقْوَالَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِأَقْوَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَنْ يَجِدَ خِلَافًا بَيْنَ أَقْوَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ أَقْوَالِ اللَّهِ فِي وَحْيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا﴾ [النساء: ٨٢].

وَمَنْ جَمَعَ أَقْوَالَ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ وَفَسَّرَ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِأَقْوَالِهِمْ فَسَوْفَ يَجِدُ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ خِلَافًا.

لَأَنَّ الْخِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ مَعَ وَجُودِ الْوَحْيِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْعُلَمَاءِ فِي شَرَائِعِ الْعُلَمَاءِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ حَذَّرَ اللَّهُ مِنْهَا. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وَالْخِلَافُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ مَعَ وَجُودِ الْوَحْيِ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْعُلَمَاءِ فِي شَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ الْمَذْهَبِيَّةِ أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَنْ أَتْبَاعِ سُنَنِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْخِلَافِ مَعَ وَجُودِ الْوَحْيِ: «لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْهَذَا وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ].

فَمَنْ نَظَرَ فِي أَقْوَالِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ فَسَيَجِدُ خِلَافًا. **أَوَّلًا:** سَيَجِدُ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ خِلَافًا بَيْنَ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَخَذُوا الْكِتَابَ كُلَّهُ وَالَّذِينَ أَخَذُوا بَعْضَهُ.

ثَانِيًا: سَيَجِدُ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ خِلَافًا بَيْنَ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ اسْتَدَلُّوا بِكَلَامِ اللَّهِ فِي مَوْضِعِهِ وَالَّذِينَ اسْتَدَلُّوا بِكَلَامِ اللَّهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.

ثَالِثًا: سَيَجِدُ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ خِلَافًا بَيْنَ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ اسْتَدَلُّوا بِالْأَدِلَّةِ الْعَامَّةِ الْمَنْسُوخَةِ بِالتَّخْصِصِ وَبَيْنَ مَنْ اسْتَدَلَّ بِالْأَدِلَّةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي نَسَخَ اللَّهُ بِهَا الْعَمَلَ بِالْأَدِلَّةِ الْعَامَّةِ.

رَابِعًا: سَيَجِدُ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ خِلَافًا بَيْنَ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ اسْتَدَلُّوا بِالْأَدِلَّةِ الْمُطْلَقَةِ الْمَنْسُوخَةِ بِتَقْيِيدِهَا وَبَيْنَ مَنْ اسْتَدَلَّ بِالْأَدِلَّةِ الْمُقَيَّدَةِ الَّتِي نَسَخَ اللَّهُ بِهَا الْعَمَلَ بِالْأَدِلَّةِ الْمُطْلَقَةِ.

خَامِسًا: سَيَجِدُ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ خِلَافًا بَيْنَ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ اسْتَدَلُّوا عَلَى إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْأَدِلَّةِ الْمَنْسُوخَةِ وَبَيْنَ مَنْ اسْتَدَلَّ بِالْأَدِلَّةِ النَّاسِخَةِ.

سَادِسًا: سَيَجِدُ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ خِلَافًا بَيْنَ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ فَرَّقُوا فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ بَيْنَ الْحُجَّةِ قَبْلَ بَعْثِ الْأَنْبِيَاءِ وَبَعْدَ بَعْثِ الْأَنْبِيَاءِ.

سَابِعًا: سَيَجِدُ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ خِلَافًا بَيْنَ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَ مَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ وَمَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ وَالَّذِينَ لَمْ يَفَرِّقُوا.

وَقَدْ اخْتَلَفَتْ فَتَوَى اللَّهِ فِي شَرِيعَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَفَتَوَى أَتْبَاعِ شَرَائِعِ عُلَمَاءِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْخَوَارِجِ الْمَذْهَبِيَّةِ فِي عُذْرِ مَنْ لَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ بِالْجَهْلِ.

فَعَذَرَهُ اللَّهُ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَلَمْ يَعْذِرْهُ عُلَمَاءُ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ فِي شَرَائِعِهِمُ الْمَذْهَبِيَّةِ.

فَأَمَرَ اللَّهُ بِسُؤَالِهِمْ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾
[البقرة: ١٤٠].

وَاخْتَلَفَتْ فِتْوَى اللَّهِ وَفَتَاوَى الْعُلَمَاءِ فِي عُذْرِ الْمُسْلِمِ بِالْجَهْلِ فِي تَرْكِ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَفِعْلِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الشِّرْكِ.

فَعَذَرَهُ اللَّهُ فِي شَرِيعَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ. قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ
اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

وَلَمْ يَعْذَرَهُ بِالْجَهْلِ فِي مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ عُلَمَاءُ^(١) السَّلَفِ وَالْخَوَارِجِ
وَالْمُعْتَزِلَةِ فِي شَرَائِعِهِمُ الْمَذْهَبِيَّةِ.

فَأَمَرَ اللَّهُ بِسُؤَالِهِمْ. فَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾
[البقرة: ١٤٠].

فَلْتَفَرِّقْ بَيْنَ شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي كُلُّهَا وَحْيٌ وَصَوَابٌ وَلَا خِلَافَ
فِيهَا وَبَيْنَ شَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ الْمَذْهَبِيَّةِ الَّتِي فِيهَا وَحْيٌ وَرَأْيٌ وَخَطَأٌ

(١) فِي شَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ الْمَذْهَبِيَّةِ اخْتَلَفُوا عَلَى ثَلَاثِ جَمَاعَاتٍ.

الْجَمَاعَةُ الْأُولَى: عَمِلَتْ بِمَا فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ مِنْ فِتْوَى اللَّهِ بِالْعُذْرِ بِالْجَهْلِ فِي تَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَفِعْلِ
مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَإِنْكَارِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ.

الْجَمَاعَةُ الثَّانِيَّةُ: عَمِلَتْ بِمَا فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ مِنْ فِتْوَى اللَّهِ بِالْعُذْرِ بِالْجَهْلِ بِشُرُوطٍ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ
انْتَهَتْ بِهِمْ إِلَى عَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ حَكَمَ النَّبِيُّ ﷺ بِطُلَانِهَا. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ قَالَ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي
كِتَابِ اللَّهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ].

الْجَمَاعَةُ الثَّالِثَةُ: عَمِلَتْ بِمَا فِي شَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ الْمَذْهَبِيَّةِ مِنْ فِتَاوَى الْعُلَمَاءِ بِعَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ
فِي مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ وَالْكُفْرِ الَّذِي عَذَرَ اللَّهُ بِهِ.

وَصَوَابٌ وَخِلَافٌ حَتَّى لَا نُنْسِبَ الرَّأْيَ وَالْخَطَأَ وَالْخِلَافَ الَّذِي فِي شَرَائِعِ
عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخِلَافِ الْمَذْهَبِيَّةِ إِلَى شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَلِتَفَرِّقَ بَيْنَ الشَّرِيعَتَيْنِ: أَقْرَأَ كِتَابَ اللَّهِ يُتَحَدَّثُ عَنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَشَرَائِعِ الْعُلَمَاءِ الْمَذْهَبِيَّةِ لِلْمُؤَلِّفِ إِنْ شِئْتَ.
وَعُدَمَ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ: هُوَ سَبَبُ التَّكْفِيرِ وَالتَّفْجِيرِ وَالْإِزْهَابِ وَالْعُلُوِّ
وَالتَّطَرُّفِ.

وَالْعَمَلُ عِنْدَ جَمَاعَاتِ التَّكْفِيرِ وَالتَّفْجِيرِ بَفَتَاوَى عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخِلَافِ فِي
شَرَائِعِهِمُ الْمَذْهَبِيَّةِ بِعَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ وَلَيْسَ بِفَتَاوَى اللَّهِ فِي شَرِيعَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ
الَّتِي عَذَرَ فِيهَا بِالْجَهْلِ.

وَأَعْظَمُ خَطَأً لِمَنْ يُفْتُونَ بِعَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ مِنْ أَتْبَاعِ الْمَذْهَبِ السَّلَفِيِّ
أَنَّهُمْ يَتَبَرَّؤْنَ مِنْ أَعْمَالِ الْجَمَاعَاتِ الْجَهَادِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ بِفَتَاوَاهُمْ بِعَدَمِ الْعُذْرِ
بِالْجَهْلِ وَلَا يَتَبَرَّؤْنَ مِنْ فَتَاوَاهُمْ بِعَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ.

لَأَنَّهُمْ مَا زَالُوا يُفْتُونَ بِعَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ وَيُدْرِسُونَهُ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَرَازِ،
وَالْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْجَامِعَاتِ وَيَنْشُرُونَ فَتَاوَى عَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ فِي جَمِيعِ
وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمَرْئِيِّ وَالْمَسْمُوعِ.

وَمَنْ لَمْ يُفْتِ بِعَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ مَا زَالَ يَعْتَذِرُ لِمَنْ يَتْرُكُ الْعَمَلَ بِفَتَاوَى اللَّهِ
فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ وَيُفْتِي بِعَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ بِأَنَّهُ إِمَامٌ مُجْتَهِدٌ لَا يُسْتَهَانُ بِقَوْلِهِ.

وَأَمَّا أَتْبَاعُ الْمَذْهَبِ الْخَارِجِيِّ فَقَدْ تَمَسَّكُوا بِفَتْوَى عَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ
وَالْتَّيْسِدِ الْكَامِلِ لِعَمَلِ جَمِيعِ الْجَمَاعَاتِ الْجِهَادِيَّةِ بِفَتْوَى عَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ.
وَلَا نِهَايَةَ لْجَمَاعَاتِ التَّكْفِيرِ وَالتَّفْجِيرِ وَالْإِرْهَابِ وَالْغُلُوِّ وَالتَّطَرُّفِ مَا دَامَ
عَدَمُ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ يُدْرَسُ لِلطُّلَابِ.
لَآنَّهُ كُلَّمَا أُبِيدَ جَمَاعَةٌ خَرَجَتْ لَنَا مَدَارِسُ عَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ جَمَاعَاتٍ
جَدِيدَةٍ.

فَالْحِمَايَةُ مِنَ التَّكْفِيرِ وَالتَّفْجِيرِ وَالْإِرْهَابِ وَالْغُلُوِّ وَالتَّطَرُّفِ تَبْدَأُ مِنْ
تَصْحِيحِ الْخَطَأِ وَأَنْ نَسْتَبْدِلَ فِتْوَى الْعُلَمَاءِ بِعَدَمِ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ فِي شَرَائِعِهِمْ
الْمَذْهَبِيَّةِ بِفَتْوَى اللَّهِ بِالْعُذْرِ بِالْجَهْلِ فِي شَرِيعَتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ.
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



الفهرس

- ٥.....المُقَدِّمَةُ تَحَدَّثَ اللهُ عَنِ الْجَهْلِ وَالْجَاهِلِ فِي تِسْعَةِ كُتُبٍ.
- الْكِتَابُ الْأَوَّلُ: تَحَدَّثَ اللهُ عَنِ تَعْرِيفِ الْجَهْلِ وَالْجَاهِلِ وَالْجَاهِلِيَّةِ
- ٧.....وَأَسْمَاءَ مَا لَيْسَ بِعِلْمٍ فِي ثَلَاثَةِ دُرُوسٍ.
- الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: تَحَدَّثَ اللهُ عَنِ تَعْرِيفِ الْجَهْلِ وَالْجَاهِلِ
- ٧.....
- الدَّرْسُ الثَّانِي: تَحَدَّثَ اللهُ عَنِ أَسْمَاءِ مَا لَيْسَ بِعِلْمٍ لِتَعْرِفَهُ إِذَا رَأَيْتَهُ
- ٩.....
- الدَّرْسُ الثَّالِثُ: تَحَدَّثَ اللهُ عَنِ عَلَامَاتِ الْجَاهِلِ لِتَعْرِفَ بِهَا جَهْلَنَا
- ١٢.....وَجَهْلَ غَيْرِنَا حَتَّى نَتَعَلَّمَ وَنُعَلِّمَ.
- الدَّرْسُ الرَّابِعُ: تَحَدَّثَ اللهُ عَنِ تَعْرِيفِ الْجَاهِلِيَّةِ لِتُفَرِّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
- ١٤.....الْإِسْلَامِ لِئَلَّا تَكُونَ عَلَى أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَنَحْنُ فِي الْإِسْلَامِ.
- الْكِتَابُ الثَّانِي: تَحَدَّثَ اللهُ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْجَهْلِ وَالْخَطَا وَالنِّسْيَانِ
- ١٩.....وَالْإِكْرَاهِ.
- الْكِتَابُ الثَّالِثُ: تَحَدَّثَ اللهُ عَنِ مَنْ عَذَرَهُ اللهُ بِالْجَهْلِ وَمَنْ لَمْ يَعْذُرْهُ اللهُ
- ٢٢.....بِالْجَهْلِ وَمَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى الْجَاهِلِ فِي سِتَّةِ دُرُوسٍ.
- الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: مَنْ عَذَرَهُ اللهُ بِالْجَهْلِ
- ٢٢.....
- الدَّرْسُ الثَّانِي: مَنْ لَمْ يَعْذُرْهُ اللهُ بِجَهْلِهِ
- ٢٤.....
- الدَّرْسُ الثَّالِثُ: مَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى الْجَاهِلِ
- ٢٨.....

- الدَّرْسُ الرَّابِعُ: الْأَعْمَالُ الَّتِي عَذَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْجَهْلِ فِيهَا..... ٣٠
- الدَّرْسُ الْخَامِسُ: مَنْ عَذَرَهُ اللَّهُ بِالْجَهْلِ مِنَ الْكُفَّارِ وَمَنْ لَمْ يَعْذُرْهُ..... ٣٤
- الدَّرْسُ السَّادِسُ: أَسْبَابُ إِرسَالِ الرُّسُلِ قَبْلَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ..... ٤٠
- الْكِتَابُ الرَّابِعُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ عَذْرِ الْعُلَمَاءِ بِالْخَطَا وَالْإِكْرَاهِ وَالنِّسْيَانِ.... ٤٢
- الْكِتَابُ الْخَامِسُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ تَعْرِيفِ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ وَشُرُوطِهَا
وَأَقْسَامِهَا فِي خَمْسَةِ دُرُوسٍ..... ٤٧
- الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ تَعْرِيفِ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ وَشُرُوطِهَا.... ٤٧
- الدَّرْسُ الثَّانِي: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ أَقْسَامِ الْحُجَّةِ..... ٥١
- الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنِ الْحُجَّةِ بَعْدَ بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيٍّ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ
وَدِينِهِ..... ٥٥
- الدَّرْسُ الرَّابِعُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنِ الْحُجَّةِ فِي الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ
وَالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُولُ..... ٥٧
- الدَّرْسُ الْخَامِسُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ مَا لَيْسَ بِحُجَّةٍ بَعْدَ بَعْثَةِ أَوَّلِ نَبِيٍّ فِي
مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَدِينِهِ..... ٥٨
- الْكِتَابُ السَّادِسُ: تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا وَقَعَ فِي الْكُفْرِ
وَأَقْسَامِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِيمَانِ بِحُكْمِ اللَّهِ عَلَى مَنْ كَفَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي
ثَلَاثَةِ دُرُوسٍ..... ٦٢
- الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا وَقَعَ فِي الْكُفْرِ
جَاهِلًا أَوْ مُخْطِئًا أَوْ مُكْرَهًا..... ٦٢

- الدَّرْسُ الثَّانِي:** تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا إِذَا وَقَعَ فِي الْكُفْرِ عَالِمًا عَامِدًا مُخْتَارًا..... ٦٥
- الدَّرْسُ الثَّالِثُ:** أَقْسَامُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِيمَانِ بِحُكْمِ اللَّهِ عَلَى مَنْ كَفَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ..... ٦٧
- اَلْكِتَابُ السَّابِعُ:** تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَقْسَامِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِيمَانِ بِحُكْمِ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِ فِي أَرْبَعَةِ دُرُوسٍ..... ٦٩
- الدَّرْسُ الْأَوَّلُ:** تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا..... ٦٩
- الدَّرْسُ الثَّانِي:** تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْكَافِرِ فِي الْآخِرَةِ..... ٧٣
- الدَّرْسُ الثَّالِثُ:** تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ حُكْمِهِ عَلَى الْكَافِرِ فِي الْآخِرَةِ حَدِيثًا مُجْمَلًا ثُمَّ فَصَّلَهُ..... ٧٦
- الدَّرْسُ الرَّابِعُ:** أَقْسَامُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِيمَانِ بِحُكْمِ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِ..... ٨٢
- اَلْكِتَابُ الثَّامِنُ:** تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْ أَسْبَابِ الْخِلَافِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ..... ٨٣
- السَّبَبُ الْأَوَّلُ:** أَخَذَ بَعْضُ الْكِتَابِ..... ٨٣
- السَّبَبُ الثَّانِي:** تَحْرِيفُ كَلَامِ اللَّهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ..... ٨٥
- السَّبَبُ الثَّالِثُ:** الاسْتِدْلَالُ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ بِأَقْوَالِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ..... ٨٨
- اَلْكِتَابُ التَّاسِعُ:** فَرَّقَ بَوْجُودَ الْخِلَافِ فِي الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ بَيْنَ شَرِيعَةِ اللَّهِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَشَرَائِعِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ الْمَذْهَبِيَّةِ..... ٩٠

